المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢ — الموافق ٢٢ ذي الحجة سنة ١٣١٩

رجال المال والاعمال

سسل رودس

لا ندري هل يصدر هذا الجزء وصاحب الترجمة في عالم الاحياء يتغلَّب جسمهُ على الداء ويحيا الى ان يرى الامن مستتبًّا في جنوبي افريقية والذهب والماس يخرجان من تلك البلاد

بلا معارض ولا ممانع او يصدر بعد ان يذهب في سبيل كل حيّ تاركاً لامتّهِ مثالاً في الهمَّة والاقدام تفاخر بهِ امم العالم وينسج ابناؤُها على منوالهِ مدى الاعوام

ولد في السابع من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٥٣ وابوهُ من خدَمة الدين ليس على شيءٍ من الثروة ودرس في مدرسة البلد الذي ولد فيهِ وبدت عليهِ مخايل النجابة في حداثتهِ ففاق اقرانهُ في الدرس واللعب وانجاز الاعمال وكان من الجوائز التي نالها لبراعتهِ نفقة تعليمهِ العلوم اللغوية التي مهَّدت لهُ السبيل للدخول الى مدرسة اكسفرد في ما بعد . وهذا امر شائع عند الاوربيين يجيزون النابغين من التلامذة بنفقة تعليمهم حتى اذا كانوا فقراء لم يمنعهم فقرهم عن التعلُّم في المدارس العليا

وكان لهُ اخ اكبر منهُ اسمهُ هربرت كان قد ذهب الى جنوبي افريقية واقام يزرع القطن في بلاد ناتال فمضى اليهِ وبلغ دربان في اواخر سنة ١٨٧٠ وجعل يساعدهُ في اعمال الزراعة المختلفة فطابت لهُ الاقامة في تلك البلاد لما رآهُ من طيب هوائها واتساع المجال فيها لاهل الهمم. ويقال انهُ شرع يحدّث نفسهُ من ذلك الحين بتوسيع نطاق السلطة البريطانية في تلك الارجاء

وكان اهل الخبرة يحسبون ان جنوبي افريقية سيناظر جنوبي الولايات المتحدة الاميركية في زرع القطن وان مستقبلهُ متوقف على ذلك لان غنى مناجمهِ لم يكن معروفاً ولم يكن يخطر على بال احد ان يُكتَشف في تلك البلاد اغنى مناجم الذهب والماس فيمتلكها اغنياء انكلترا ويسوقوا الحكومة الانكليزية الى حرب عوان تهلك الالوف قبل ان تُنشر راية الامان

ولما وصل سسل رودس الى تلك البلاد كانت الاشاعات قد تواترت فيها عن وجود حجر كبير من حجارة الماس عند قبيلة من القبائل الافريقية وصدَّق كثيرون هذه الاشاعات وضربوا في مجاهل افريقية باحثين عن هذا الحجر ثم عادوا بخفي حنين فقال البعض ان الاشاعة كاذبة فلم يعودوا يعبأُون بها وبقي غيرهم مصدقين لها يبحثون عن الحجر كلما مكنتهم الفرص. ومن هؤُلاء المصدقين رجل اسمهُ فان نيكرك بقي يضرب بين القبائل وهو يفتش عنهُ الى ان وجدهُ عند ساحر من سحرتهم يستعملهُ عوذة في شفاء الامراض وكان ذلك في اواخر سنة ١٨٦٩ فلما وقعت عينهُ عليهِ قال هذا هو ضالتي المنشودة وطلب من الساحر ان يبيعهُ اياهُ فابى فجعل يزيد لهُ الثمن وهو يزيد اباء واخيرًا عرض عليهِ ان يعطيهُ بدلاً منهُ العربة التي كان يسافر فيها والثيران التي تجرها . فدهش الساحر من هذا الثمن وقال هذا غنى لم اكن احلم بهِ فاعطاهُ الحجر واخذ منهُ العربة والثيران . وعاد فان نيكرك بهِ الى مدينة الرأس

وباعهُ باحد عشر الف جنيه وهو من اجمل حجارة الماس واصفاها ماءً سمي بنجم افريقية الجنوبية واشترتهُ كونتس ددلي بثلاثين الف جنيه

ونحو ذلك الوقت رأى احد البوير اولاداً يلعبون بحصى برّاقة فنظر فيها واذا واحد منها ماس فاخذهُ وباعهُ بخمس مئة جنيه . وتكرّر وجود حجارة الماس حتى لم تبقَ شبهة في انهُ كثير في تلك البلاد ولهُ مناجم فيها فقام مئات من الناس يفتشون عنهُ وهم يحسبون انهم يجدونهُ في مسيل نهر الفال كما يوجد الذهب في مسايل الانهر واخيراً كان بعضهم يفتش عنهُ في بحيرة صغيرة جفّ الماء منها فوجد كثيراً منهُ في الطين الراسب فيها

وكان على مقربة من هذه البحيرة كوخ لفلاَّح من البوير مبني بالطوب النيء (اللبن المجفف في الشمس) فاتى هؤُلاء الرجال اليهِ ليستريحوا فرأَوا في جدرانهِ حجارة تلمع فنظروا فيها واذا الجدران مرصعة بالماس لانها كانت مبنية من الطين الراسب في البحيرة

وشاع الخبر حالاً ووصل الى مدينة الراس فتقاطر الناس افواجاً الى تلك البحيرة واقتسموا ارضها بالشبر وكان ذلك سنة ١٨٧٠ . وهناك الآن منجمان من مناجم الماس الاربعة وهما منجم دتوتسبان ومنجم بلتفنتين وهما قليلا الماس . وفي السنة التالية اكتشف منجما ده بيرس وكمبرلي والاخير اصغر هذه المناجم الاربعة واغناها

وبلغت اخبار الماس هربرت رودس كما بلغت غيرهُ فقام مع من قام لطلب الغنى من اقرب ابوابهِ بدلاً من الاعتماد على شجيرات القطن والحرث والزرع والتسميد واخذ نصيباً من قطعة صغيرة في منجم ده بيرس ثم استدعى اخاهُ سسل اليهِ واشركهُ معهُ فوجدا كثيراً من الماس في قطعتهما من اول يوم

وكان الماس يوجد في الحصى الصفراء فتحفر وتسحق ويبسطها صاحب المنجم على مائدة وينقي حجارة الماس منها بيدهِ . وكان سسل رودس في ذلك الحين شاباً في الثامنة عشرة من عمرهِ طويل القامة قليل الكلام لا يعبأُ بلبسهِ ومنظرهِ وقد امتاز من ذلك الوقت بذكاء عقلهِ وبانهُ اوسع ادراكاً من الرجال الذين حولهُ من طلاَّب الجواهر وابعدهم نظراً في العواقب وكان يجلس على كرسيهِ ساعةً بعد ساعة وهو يفكّر كأَنهُ ينظر في سجلّ المستقبل ويقدّر ما تأول اليهِ تلك البلاد

ولم تطل الايام على هربرت رودس حتى سئم الاقامة في مناجم الماس فترك حصتهُ لاخيهِ وضرب شمالاً الى حيث كُشفت مناجم الذهب يفتش عن المناجم الجديدة ويصطاد الوحوش البرية وبعد نحو خمس سنوات كان في خص من القصب فاحترق بهِ ومات

ولم تمضِ سنتان على سسل رودس حتى ربح من الماس الذي وجده ُ ماسهَّل عليهِ الرجوع الى انكلترا ودخول مدرسة اكسفرد لاتمام دروسهِ فيها وعزم ان يقضي مدة الدرس في المدرسة ويعود وقت اجازة الصيف الى مناجم الماس الى ان ينال الشهادة . ومضت السنة الاولى على سلامة لكنهُ اصيب بزكام شديد في آخرها ايفت بهِ رئتاه ُ وظنَّ الاطباءُ انهُ مصاب بالسل وانهُ لا يشفى منهُ ولو عاد الى افريقية اما هو فعاد اليها وقت الاجازة وبقي فيها يستخرج الماس الى ان حان وقت الدرس فعاد الى المدرسة واستمرَّ يفعل ذلك الى ان اتمَّ دروسهُ ونال الشهادة. وكان يقضي ايام السفر ذهاباً واياباً في الدرس · همَّة عالية تدلُّ على مقدرتهِ الطبيعية والاكتسابية · والظاهر ان هواء افريقية وسفر البحر لاءما صحتهُ فنجا من داء السل كما ان العلوم التي تعلَّمها في اكسفرد وسَّعت عقله ُ واختباره ُ واهَّلتهُ للاعمال العظيمة التي قام بها بعدئذٍ ولمعاشرة العظماء الذين اتصل بهم

واول شيءٍ ادركه ُ بزكانة عقلهِ وحسن استدلالهِ ان الماس متولد من اصل بركاني فيستنزف ما يوجد منهُ على وجه الارض قريباً ويصير استخراجه ُ من باطنها امراً عسيراً لا يستطيعهُ اصحاب المناجم الصغيرة ما لم يتحدوا معاً ويؤلفوا شركة كبيرة كثيرة المال لاجل الانفاق على حفر المناجم العميقة · والظاهر ان المستر برناتو الذي كان يستخرج الماس من منجم كمبرلي اتصل بحدسهِ الى النتيجة التي اتَّصل اليها رودس في الوقت نفسهِ

وكانت اراضي المناجم مقسومة اقساماً صغيرة كل قسم منها اقل من عشرة امتار مربعة وكان نصيب سسل رودس واخيهِ ربع قسم منها وكانت حكومة الترنسفال تمنع الانسان الواحد ان يمتلك اكثر من قسم واحد ثم عدَّلت هذا المنع فاجازت للواحد ان يمتلك عشرة اقسام ثم ازالت المنع مطلقاً وكان سسل رودس ينفق ما يكتسبهُ في توسيع مايمتلكه ُ بابتياع اقسام اخرى

ونفد الماس من الحصى الصفراء والناس لا يعلمون انهُ يوجد في غيرها كما استنتج رودس بفراستهِ فجعلوا يبيعون اقسامهم وانصبتهم باثمان بخسة ورودس يشتريها منهم حتى صار له ُ جانب كبير من منجم ده بيرس وصار يسهل عليهِ ان يؤلف له ُ شركة كبيرة وكان منجم كمبرلي قد سبقهُ الى ذلك وتألفت له ُ شركات عديدة افلست حالاً فضاعت فيها اموال كثيرة ورأى رودس ان الفرصة لا تساعده ُ على تأليف الشركة التي يريدها وكانت تلك الشركات قد اكثرت من استخراج الماس فزاد على الطلب ورخص ثمنهُ جدًّا حتى صار القيراط منهُ يباع بخمسين غرشاً مع ان نفقات استخراجهِ تبلغ خمسة وسبعين فاشترى كثيراً من الاسهم باثمان بخسة ورأى ان لا بدَّ من ان يشترك اصحاب منجم ده بيرس ومنجم كمبرلي معاً ويتفقوا على ان لا يستخرجوا من الماس

اليزا اقرت (صفحة ٣١٩)

الاَّ ما يكفي لاسواق اوربا واميركا حتى لا يزيد المستخرج على المقطوعية فترتفع الاسعار وتعود الى ما كانت عليهِ

ومنجم كمبرلي لا تزيد مساحتهُ على اربعة افدنة ونصف فدان لكنهُ كان يثمَّن باكثر من خمسة ملايين من الجنيهات وكان لالف وستمئة من الشركات والملاَّك الذين يجب استرضاؤُهم فجعل رودس يحثهم على الاتفاق معهُ واستمرَّ على ذلك سبع سنوات ولم تأْتِ سنة ١٨٨٥ حتى صارت المناجم الاربعة لاقل من مئة من الشركات والملاَّك وكان منجم ده بيرس مقسوماً ٥٩١ قسماً فصار ٥٨٢ منها لسبع شركات و٩ اقسام لثلاثة اشخاص واعظم هذه الشركات السبع شركة ده بيرس انشأَها رودس وجعل رأْس مالها ٢٠٠٠٠٠ جنيه ثم جعل يزيدهُ ويشتري بهِ اقساماً أُخرى حتى صار ٨٥٠ الف جنيه سنة ١٨٨٥ ووزعت هذه الشركة حينئذٍ ٧½ في المئة ربحاً على مساهميها ولم تمضِ سنتان حتى اشترت حصص بقية الشركات والاقسام الباقية فصار منجم ده بيرس كلهُ لها وزاد ربحها رويداً رويداً فوزعت ١٢ في المئة سنة ١٨٨٦ و١٦ في المئة سنة ١٨٨٧ و٢٥ في المئة سنة ١٨٨٨ واشترت حصصاً كثيرة في منجم كمبرلي

وكان سسل رودس المدير لهذه الشركة والمالك لاكثر اسهمها قد اتقن اساليب الحفر واستخراج الماس حتى زاد ربحها الى هذا الحد ولم يعد في امكانهِ ان يزيدها اتقاناً فلم يبقَ امامهُ سبيل للكسب الاَّ اذا اتفق مع اصحاب منجم كمبرلي على رفع ثمن الماس لا سيما وانهُ اغنى من منجم ده بيرس واكثر الماساً منهُ ولا يعسر ان يخرج منهُ كل الماس الذي يمكن بيعهُ في الدنيا فتفلس شركة ده بيرس في سنة او سنتين وهذا ما كان يقصدهُ برناتو صاحب الحصَّة الكبرى في منجم كمبرلي حتى اذ افلس رودس وشركتهُ اشترى هو منجم ده بيرس وتصرَّف في ثمن الماس على ما يشاء. ولو تمَّ لهُ ذلك وبقي في قيد الحياة لكان الآن اغنى اغنياء الدنيا بلا استثناء ولكن حيلة رودس كانت اوسع من حيلتهِ وحياة رودس اطول من حياتهِ

وعاد رودس الى بلاد الانكليز لهذا الغرض وقابل بيت رتشيلد وقال لهم اني لا اخاف الاَّ من هذا الشاب اليهودي برناتو. وكان برناتو شاباً من فقراء لندن هاجر الى جنوبي افريقية وهو لا يملك شيئاً فاجتهد ودبَّر واقتصد وساعدهُ التوفيق حتى امتلك الجانب الاكبر من منجم كمبرلي وصار هذا المنجم لثلاث شركات الواحدة لهُ والثانية انكليزية متفقة معهُ والثالثة فرنسوية مستقلة عنهُ. فاسرع رودس الى باريس ليشتري هذه الشركة فقبل مديروها ان يبيعوهُ اياها واتفقوا معهُ على الثمن وبلغ برناتو ذلك فبعث اليهم يقول انهُ يدفع لهم ٣٠٠٠٠٠ جنيه زيادة عمَّا دفع رودس فعاد رودس وزاد على ما دفعهُ برناتو وظلاَّ يتزايدان الى ان رسا المزاد على

رودس فاغتاظ برناتو من ذلك وعزم ان يرخّص ثمن الماس حتى يفلس رودس وشركتهُ وجاهر بذلك . والظاهر ان بيت رتشيلد وغيرهُ من المشتركين مع رودس خافوا العاقبة فلم يجاروا برناتو على قصده واخيرًا تألفت شركة كبيرة راس مالها نحو اربعة ملايين من الجنيهات اشترت منجم ده بيرس ومنجم كمبرلي واستأجرت منجم دتوتسبان ومنجم بلتفنتين حتى لا يناظراها واقفلتهما . ولم يكن مال الشركة وهو اربعة ملايين من الجنيهات كافيًا لابتياع الاسهم كلها فاستدانت من بيت رتشيلد نحو تسعة عشر مليون جنيه بربا ٢/١ ٥ في السنة ورفعت ثمن قيراط الماس حالاً من ١٣ شلنًا الى ٢٧ شلنًا ووزعت على حاملي اسهمها مليون جنيه في السنة فارتفع ثمن السهم من خمسة جنيهات الى اربعين جنيهًا . ويقال ان سسل رودس ربح من توحيد هذه الشركات اكثر من مليون من الجنيهات فاذا فرضنا انهُ اشترى اسهمًا بهِ فقط فقد بلغ ثمنها ثمانية ملايين من الجنيهات ومعلوم ان جانبًا كبيرًا من منجم ده بيرس كان لهُ فثروتهُ اكثر من ذلك كثيرًا وهو ينفق اموالهُ على المصالح العمومية ولا ينفق على نفسهِ شيئًا يذكر حتى قيل انهُ مُنع مرةً من الدخول الى معرض كمبرلي لحقارة ملبسهِ

هذا طرف من سيرة هذا الرجل الذي طبقت شهرتهُ الافاق واهتمَّ الناس بمرضهِ اهتمامهم بمرض ملك عظيم الشان ولا عجب فهو ملك الذهب والماس ورائد مُلْك واسع الارجاء

البارون روتر

البارون روتر منشئ شركة تلغرافات روتر. ولد في كاسل بالمانيا سنة ١٨١٦ وتوفي ابوهُ وهو في الثالثة عشرة فاضطرَّ ان يقصد خالهُ في بنك غوتنجن ويخدم عندهُ صانعًا فقطع لهُ اجرة ثمانية جنيهات في السنة او ٦٥ غرشًا في الشهر

ولما كان لهُ سبع عشرة سنة من العمر كان يُرسَل الى الذين يودعون البنك دراهمهم لكي ياتي منهم بما يريدون ايداعهُ فاعطاهُ الاستاذ غوس العالم الرياضي ثلاثين ذهبًا فرنسويًا فاخذها منهُ وعدَّها وهو راجع الى البنك فوجد ذهبًا منها مزدوجًا اي مما يساوي اربعين فرنكًا فعاد الى غوس وناداهُ قائلاً انك غلطت في عد النقود يا استاذ . فاغتاظ غوس من ذلك وقال اني لم اغلط بل هي ثلاثون ذهبًا كما عددتها . فقال لهُ نعم انها ثلاثون ذهبًا ولكن واحدًا منها اثنان . وبقي مدةً حتى اقنع غوس ان واحدًا منها مزدوج فهي واحد وثلاثون ذهبًا فرنسويًا . فذهل غوس من امانتهِ وصادقهُ واطلعهُ على سر التلغراف الكهربائي وشرحه لهُ فبقي ذلك في ذهنهِ واستعملهُ لنقل الاخبار فجمع منهُ ثروةً طائلة واشتهر اسمهُ في الخافقين حتى يذكر اسم روتر

الآن في جرائد المسكونة اكثر مما تذكر اسماء ملوك الارض اجمع

وتجرَّ في المسائل المالية وعمره عشرون سنة وارتأى رأياً في المالية الروسية بعث بهِ الى وزير المالية في بطرس برج فاجابهُ الوزير بعد سنة بجواب بعث اليهِ فيهِ ورقة مالية بمئة وخمسين جنيهاً علامة استحسانهِ للرأي الذي ابداه

ولما وُضع التلغراف الكهربائي في فرنسا والمانيا لم يوصل بين التلغرافين لاسباب سياسيَّة فرأى ان يوصل بينهما بحمام الزاجل فاقام هو عند الطرف الواحد وزوجتهُ عند الطرف الآخر وجعلا ينقلان اخبار التجار وغيرهم بواسطة الحمام من جهة الى اخرى ثم ينقلانها بالتلغراف فنجح في ذلك واكتسب منهُ كسباً وافراً. لكن لم يطل الفصل بين التلغرافين فاوصلا ولم يبقَ محل لعملهِ فتركهُ وذهب الى باريس لعلَّهُ يجد فيها عملاً يعمل بهِ فلم يجد. وكان يفكّر في انشاء وكالة لجلب الاخبار السياسية ونشرها لكن احوال الحكومات الاوربية لم تكن تأذن بذلك فرأى بعد امعان النظر ان البلاد الانكليزية اصلح من غيرها لهذه الغاية لما فيها من الحرية

للجرائد فمضى اليها ونزل في مدينة لندن سنة ١٨٥١ وتجنَّس بالجنسية الانكليزية وفتح وكالة لنقل الاخبار السياسية والتجارية . وكان اكثر اعتمادهِ على نقل الاخبار لتجار الاروام منهم الى عملائهم في موانئ المشرق ومن العملاء اليهم وعيَّن لهُ وكلاء في الاماكن التي يصل التلغراف اليها وينقطع عندها فكانوا يتلقُّون اخباره التلغرافية وينقلونها مع السعاة الى المكان الذي يبتدئ فيهِ التلغراف ثانيةً . وغنيٌّ عن البيان انهُ درس احوال التلغراف في كل اوربا حتى يعلم اين يبتدئ والى اين يصل كل خط من خطوطهِ

وواظب على عملهِ هذا بغير انقطاع وكان اذا خرج من مكتبهِ ليأكل لقمة يوصي صانعهُ ان يدعوهُ حالاً كلما اتى زبون جديد . وذات يوم اتى رجل ليتكلم معهُ وكان قد خرج في شغل فاسرع الصانع اليهِ ليدعوهُ فقال لهُ عُدْ حالاً ولا تدعه يخرج قبل رجوعي فقال الصانع لا تخف يا مولاي فاني اقفلت الباب عليهِ حتى لا يخرج في غيابي . فسرَّ بذكائهِ ونجابتهِ فرقَّاهُ وهو الآن من اهم مديري شركة روتر

وحدث في ذلك الحين ان البارون بروتنك من اشراف الروس واغنيائهم هرب من روسيا الى انكلترا لسبب سياسي وخاف ان تستصفي (تحجز) الحكومة الروسيَّة املاكهُ فطلب من روتر ان يمضي الى روسيا ويبيعها لهُ ولم يكن في وسعهِ ان يعطيهُ توكيلاً بالكتابة لان الحكومة الروسيَّة لم تكن تدع احدًا يدخل بورقة الى بلادها ومن وُجد معهُ شيء من ذلك فعقابهُ النفي الى سيبيريا فاعطاهُ خاتمًا قديمًا يخص عائلتهُ فمضى بهذا الخاتم الى بطرس برج واقنع بهِ اقرباءهُ انهُ آتٍ من قبلهِ فاتمَّ لهُ المهمة التي ارسلهُ فيها

وبعد سنتين عاد الى روسيا وعرض على حكومة الروس مد التلغراف من شرقي روسيا الى بكين عاصمة الصين وسار الى بكين برًّا لهذه الغاية فقطع صحراء غوبي وقضى في هذه الرحلة سنة كاملة لكنهُ لم يوفق الى مد سلك التلغراف حينئذٍ

وبقيت الجرائد تمتنع عن نشر اخبارهِ الى سنة ١٨٥٨ فاقتنعت حينئذٍ ان من نشرها فائدة لها وانشأ وكالة كبيرة لجلب الاخبار التلغرافية من اقطار المسكونة وبيعها للجرائد ثم جعل هذه الوكالة شركة مساهمة سنة ١٨٦٥ وبقي هو مديرًا لها حتى سنة ١٨٧٨ وامتاز بسرعة جلبهِ للاخبار السياسية حتى ان اخبارهُ كانت تسبق اخبار الحكومة الانكليزية وكانت الحكومة تعتمد عليها كأنها اخبار رسمية مرسلة اليها من رجالها

وحاول ان يفعل في برلين ما فعلهُ في لندن فلقي من الحكومة الالمانية اشد المقاومة فشكا امرهُ الى بسمارك وقال لهُ على مَ تقاومونني هل تجدون في اخباري شيئًا من عدم الصحة

فقال له بسمارك بل نجد انها صحيحة اكثر مما يلزم وهذا سبب اعتراضنا عليها ثم ابان له ان الحكومة لا تسمح الآ بنشر ما تريده من الاخبار وانها مستعدة ان تعطيهُ شيئًا عوضًا عمّا يخسره بالغاء الوكالة من برلين

ومن اعماله المشهورة انهُ التفت الى بلاد ايران فرآها منعمة بالخيرات الطبيعية ولا تحتاج الآ الى اناس يستثمرونها فاقنع شاه ايران حتى اعطاه امتيازًا يجعل له شأنًا كبيرًا في استثمار خيرات البلاد لكن روسيا اعترضت علي ذلك واقنعت الشاه حتى سحب الامتياز. الاّ ان روتر لم يعدل عن طلبهِ واخيرًا اقنع الشاه حتى اعطاه امتيازًا آخر بدل الامتياز الاول فحوّله الى بنك ايران الشاهاني Imperial Bank of Persia

وبقي الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٨٩٩ يشارك مديري شركتهِ في توسيع نطاقها وادارة اعمالها. وكان قصير القامة نحيف الجسم مدققًا في اعمالهِ اصيل الرأي حازمًا مقدامًا لا يكل من الشغل ولا يعبأ بالمشاق وهذا سرُّ نجاحهِ

السل واستئصاله

مَن طالع المقالات المختلفة التي نشرناها في العام الماضي منقولة عن خطب مشاهير الاطباء التي تليت في مؤتمر السل يظهر له جليًا ان السل من الامراض التي يمكن اتقاؤها ومنع انتشارها . وان خير الوسائل لذلك ان يفهم الجمهور حقيقتهُ وكيفية انتشار عدواه . ومن رأي البعض ان تهتم الحكومات بهذا الامر فتنشر المنشورات والوصايا الصحية بلغة يفهمها العامة وتمنع اختلاط المسلولين بالاصحاء وتمنعهم من البصق في الاماكن العمومية وتضطرهم الى البصق في آنية خاصة فيها مواد سامة تميت ميكروب السل الذي في بصاقهم . ومن رأي غيرهم ان تؤلف لجان لهذا الغرض عينهِ

لكن الحكومة لا يهتم منها بالمسائل الصحية الاّ فرع واحد وهو فرع الادارة الصحية . ورجال هذه الادارة لا يفعلون الاّ حيث يُرسَلون وفعلهم قليل ضيق النطاق لقلة عددهم . واللوائح والمنشورات لا تفي بالغرض كلهِ لانهُ ليس في طاقة كل حكومة ان تسنّ القوانين لتنفيذها وهذا شأن اللجان ايضًا فان فعلها محصور في دوائر ضيقة . ويظهر لنا ان الجرائد السيارة اقدر من غيرها على اذاعة ما يراد اذاعتهُ من الحقائق عن داء السل وكل الادواء المعدية وتعليم الناس طرق اتقائها وهذا ما نفعله دوامًا في المقتطف وما نقصده في هذه المقالة

كان السل يعدُّ من الامراض التي لا يمكن ان تُتَّقى ولا يمكن ان تشفى وانهُ ينتقل بالوراثة من الوالدين الى الاولاد . وظلَّ ذلك اعتقاد الجمهور من العامَّة والخاصَّة حتى سنة ١٨٨٢ حين قام الدكتور كوخ واكتشف ميكروب السل ورأى انهُ موجود في كل المسلولين فقال انهُ سبب السل . وهو اجسام صغيرة جدًّا لا ترى بالعين ولكن ترى بالميكرسكوب وهي مستطيلة كما ترى في الشكل الاول تدخل الحويصلات التي يتألف منها الجسم فتموت او تعيش وتتكاثر فتتلفها كما ترى في الشكل الثاني . وهي كثيرة في رئات المسلولين وفي بصاقهم وفي كل الاعضاء المسلولة ويمكن استخراجها منها وتربيتها في المرق او غيرهِ من المواد المغذية والبحث في طبائعها

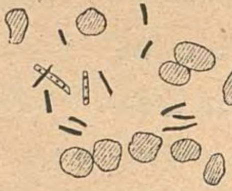
(١)

(٢)

وهذا الاكتشاف اعظم كل الاكتشافات الطبية لانهُ ازاح الستار عن حقيقة السل واثبت للناس انهُ من الامراض التي يمكن اتقاؤُها . وتظهر فائدتهُ من ان سُبْع اهالي اوربا كانوا يموتون بهذا الداء فضلاً عما يقاسونهُ من العذاب قبل موتهم بهِ فاتَّضح الآن انهُ يمكنهم ان يتقوهُ وان الذين يصابون بهِ يمكنهم ان يشفوا منهُ اذا عالجوهُ قبل ان يتمكن منهم . والسبيل الى ذلك اولاً ان يعرف كل احد من الخاصَّة والعامَّة حقيقة السل وكيفية انتشارهِ ووسائل اتقائهِ وثانياً ان تنشأ المصاح والمستشفيات لعلاج المصابين بهِ

اما من حيث الامر الاول فنقول ان ميكروب السل يدخل الجسم مع الهواء او الطعام ويقيم في الرئتين او العظام او المفاصل او نحو ذلك من اعضاء الجسم و يغتذي من انسجة الجسم التي حولهُ ويتلفها فلا تعود الاعضاء التي يستقرُّ فيها قادرة على القيام بوظائفها فتنحرف الصحة وينسلُّ الجسم من المواد السامَّة التي تخرج من ميكروب السل وتنتشر فيهِ

فالسل اذًا مرض معدٍ يتَّصل من المصاب بهِ الى السليم بواسطة الميكروب الخاص بهِ . وكل مسلول مركز تنتشر منهُ العدوى الى ماحولهُ ولا سيما الى الذين يخالطونهُ كثيرًا . وعدوى السل اشد من عدوى الطاعون والتيفويد ولكنها لا تظهر في من تصيبهُ سريعًا بل قد يتأخر ظهورها بضعة اشهر فهو مثل الجذام الذي ينتقل بالعدوى ولكنهُ لا يظهر في من يُعدَى بهِ الأ بعد سنين كثيرة

واكثر ما تنتقل عدوى السل بهِ بصاق المسلولين فان تسعة اعشار المسلولين عدوا بالسل

من بصاق غيرهم . وهذه الحقيقة يجب ان ترسخ في ذهن كل رجل وامرأة وابن وابنة في كل المسكونة . ومتى رسخت في اذهانهم فهم انفسهم يجدون الوسائط اللازمة لاتقاء السل . وكلما سعل المسلول او عطس او تكلم خرج من فمهِ دقائق من البصاق حاوية لميكروب السل فتنتشر في الهواء الذي حوله وقد تدخل افواه الذين امامهُ مباشرة اذا تكلَّم معهم او سعل امامهم او عطس في وجوههم

ثم ان نقط البصاق التي تخرج حاوية ميكروب السل تقع على الثياب والاثاث والارض وتجف وتتطاير ميكروباتها في الهواءِ وتمتزج بالغبار وتعود الى الارض ثم تثار منها حينما تكنس وتنتشر في الهواءِ ثانية فيتنفسها الناس وتدخل رئاتهم او يبتلعونها معما يبتلعون من الطعام والشراب

ورب معترض يقول ان كان الامر كذلك وجب ان يُعدَى كل الناس بالسل . والجواب ان ابدان كثيرين من الناس تقاوم هذا الداء وتتغلب عليهِ فلا تعدى بهِ او تعدى بهِ قليلاً ثم تشفى منهُ قبلما يظهر فيها ظهورًا واضحًا ومع ذلك فقد تقدَّم ان سبع اهالي اوربا يموتون بداء السل وفي بعض الاماكن يموت خمس الناس كلهم بهِ وكفى بذلك انتشارًا

وممَّا يعين ميكروب السل على النمو ويضعف الجسم حتى يصير هذا الميكروب قادرًا عليهِ الازدحام والرطوبة والظلمة وفساد الهواء وضعف القوى الحيوية من كثرة الشغل والهم

وممَّا يعيق ميكروب السل عن النمو ويقوي الجسم حتى يصير هذا الميكروب عاجزًا عنهُ الهواء النقي ونور الشمس الكثير والاعتدال في الاشغال والاعمال وطرق المعيشة فان هذه الوسائل تمنع السل وتشفي الجسم منهُ لانها تميت ميكروبهُ قبل دخولهِ وتقوي الجسم حتى يتغلَّب عليهِ اذا دخلهُ واذا عدِمت ضعف الجسم رويدًا رويدًا ووجد ميكروب السل سبيلاً اليهِ

واذا كان السل يخرج من فمِ المسلول مع بصاقهِ فالحكمة والحيطة تقتضيان ان لا يُطرَح البصاق في كل مكان . وقد تألفت عصبة في باريس لاغراء الناس بالامتناع عن البصق في الاماكن العموميَّة وذلك بنشر المنشورات وتعليق الاعلانات التي تبين مضار البصاق . وقرَّرت جمعية الصحة العمومية في برلين ان تسن الحكومة قانونًا تمنع بهِ الناس من البصق في الاماكن العمومية والمركبات . وقرَّرت لجنة مدارس برلين ان توضع المباصق في كل غرف المدارس لكي يبصق الاساتذة والتلامذة فيها واذا كانوا مصابين بالسعال فعليهم ان يحملوا المباصق اينما ساروا ويجب عليهم حينما يسعلون ان يضعوا منديلاً امام افواههم لكي لا يتطاير النفث في الهواء . وعلقت حكومة الدنمارك اعلانات في كل الاماكن العمومية وفي محطات سكك الحديد ومكاتب البوسطة والمراحيض العمومية توضح فيها للجمهور ضرر البصاق

ووضعت الحكومة الاميركية في بوستن غرامة عشرين جنيهاً على من يبصق في مركبات

سكك الحديد والتراموايْ ونحوها من الاماكن العمومية وانزلت هذا القصاص اولاً برجلٍ من اصحاب الملايين ثم كرر البصق ثانيةً فحكمت عليهِ بالحبس اربعاً وعشرين ساعةً

ومن الوسائل المتَّبعة في مقاومة الامراض المعدية اعلام ادارة الصحة بكل حادثة منها فاذا اصيب احد بالطاعون مثلاً تُعلَم ادارة الصحة بهِ فتنقلهُ الى مستشفى خاص بالامراض المعدية فتعالجهُ فيهِ وتمنع انتشار العدوى منهُ الى غيرهِ . وقد جرى مثل ذلك في امر السل في اميركا وفي بعض البلدان الاوربية . ويقال ان عدد الوفيات بالسل سيقل في مدينة نيويورك نحو ثلاثة آلاف كل سنة بهذه الوسيلة

واول ما يُعتَرض بهِ على هذه الوسيلة هو نقل المريض من بيتهِ ومن بين اهلهِ وهذا لا يرضاهُ هو ولا يرضى بهِ اهلهُ . ولكن الحكومة لا تنقل الاَّ المسلول الفقير الذي لا يمكن وضعهُ في غرفة خاصَّة في بيتهِ اما المسلول الذي يمكن وضعهُ في غرفة خاصَّة في بيتهِ حتى لا يتعرض اهلهُ للعدوى منهُ والغرفة مناسبة لشفائهِ من حيث نورها وهواؤُها فلا داعي لان تتكلف الحكومة نقلهُ الى مستشفاها وهذا يطلَق على السل كما يطلق على غيرهِ من الامراض المعدية

واذا كان المستشفى او المصح في بقعة طيبة الهواء وكان فيهِ التدابير الصحية اللازمة لشفاء هذا الداء وجب على كل مسلول ان يقنع اهلهُ بنقلهِ اليهِ لانهُ يقلل تعبهُ ويقرّب شفاءهُ . وهذا ايضاً من الحقائق التي يجب ان ترسخ في الاذهان لتزول منها خرافة قديمة راسخة فيها وهي ان "الهسبتال" باب القبر

ثم اذا أُعلمت الحكومة لم تكتفِ بنقل المريض الى المستشفى او بوضعهِ في غرفة خاصَّة بهِ في بيتهِ بل هي تطهر غرفتهُ بعد خروجهِ منها تطهيراً كافياً حتى يأْمن غيرهُ السكن فيها لان ميكروب السل يلصق بالجدران والاثاث كما ثبت بالامتحان وكما يدل الاختبار من عهد قديم حتى اننا نعرف بيوتاً هُجرت ولم يعد يسكنها ساكن لظهور السل في الذين سكنوها عقباً بعد عقب . وتطهر ايضاً امتعتهُ كلها او تحرقها حتى لا يبقى سبيلٌ لانتقال ما لصق بها من الميكروبات الى غيرهِ

فاعلام الحكومة امر واجب الاتباع ولا سيما في المدن التي يسكن كثيرون من اهاليها بيوتاً مأْجورة او ينزلون في الفنادق (اللوكاندات) فان من يستأْجر بيتاً لا يبحث غالباً عمَّن كان ساكناً فيهِ قبلهُ وكذلك من ينزل غرفةً في لوكندة لا يسأَل عمَّن كان نازلاً فيها قبلهُ فلا يحلُّ لاصحاب المنازل والفنادق ان يتركوا في بيوتهم ميكروبات داءٍ خبيث مثل داء السل تترصَّد من ينزل فيها وتفتك بهِ بل يجب عليهم ان يعلموا ادارة الصحة حتى تأْتي وتطهر الغرف التي كان فيها المسلولون وتزيل عدوى السل منها

ألا ان الواسطة الكبرى التي يُعتمَد عليها لمقاومة هذا الداء الخبيث هي ان يعلم الجمهور كلهُ الحقائق المتقدمة في هذه المقالة حتى ترسخ في اذهانهم ويصيروا يعرفون من انفسهم كيف يتَّقون السل كما يعرفون كيف يتقون النار والافعى وكيف يمنعون جمرة في ايديهم من حرق بيتهم او بيت غيرهم وانتشار هذه المعرفة بين الجمهور لا يتم في سنة ولا سنتين بل لا بدَّ لهُ من سنوات كثيرة . والجرائد السيارة خير واسطة لانتشارها

خرائب الشام

(١) جرش

بعث الينا احد فضلاء دمشق صوراً فوتوغرافية من تصوير سعاد بك مفتش الصحَّة في الولاية وكتب الينا معها يقول انها صور بعض الآثار القديمة المبعثرة في بلاد الشام وطلب منا ان نذكر تاريخها او تاريخ المدن التي بقيت منها . فاخترنا الصورة التي صدَّرنا بها هذه المقالة لهذا الجزء وبعثنا بها الى من حفرها حفراً كيماوياً حتى تبقى على رونقها من غير زيادة ولا نقصان وحسبنا من وصفها ما يرى فيها من الانتساق ودقة الصنعة وانها قاوت الدهر نحو الفي سنة

مرَّت بها العواصف وهطلت عليها الامطار وترددت عليها الزلازل وانتابها الحرُّ والبرد ولكنها بقيت منتصبةً حيث نصبها ابناءُ سورية الاقدمون تحدّث بمجدهم السالف وتتحسر على ما اصاب بلادهم من غيَر الدهر ونوائب الايَّام

هذه الاعمدة من آثار جرش احدى المدن العشرة (ذكابولس) التي كانت شرقي نهر الاردن وهي بيسان (سكيثو بولس) وجرش (جراسا) وام قيس (جدَرا) وخربة السوسية (هبو) وفاهل (بلاَّ) وعمان (فيلادلفيا)وقنوات(قناثا) وبيت الرأس (كابيتولياس) وادون (ديون) وابل (ابيلا)

وجرش على ٥٥ ميلاً من القدس شمالاً بشرق بين جبال جلعاد على سفحي اكمتين متقابلتين بينهما نهر كروان وهو احد نواصر نهر اليبوق المعروف الآن بالزرقا. ذكرها يوسيفوس المؤرخ وقال ان الملك اسكندر يانيوس قصدها طامعاً بخزائن ثيودوروس فافتتحها عنوةً وكان ذلك سنة ٨٥ قبل الميلاد . ثم دخلها انيوس قائد جيوش اسبسيانوس واستباحها نهباً وتخريباً لكنها بقيت رغماً عن ذلك من المدن الكبيرة وكانت من اغنى مدائن فلسطين في القرن الثاني والثالث فبنى فيها انطونينوس بيوس هيكلاً بديعاً للشمس بين سنة ١٣٨ و ١٦١ للميلاد ولا يزال احد عشر عموداً من اعمدة واجهتهِ قائماً وهي المرسومة في صدر هذه المقالة طول العمود منها ٤٥ قدماً او نحو ١٤ متراً وقطره خمس اقدام وكان حول هذا الهيكل ساحة كبيرة يحيط بها صفان من الاعمدة لم يبقَ منها قائماً الاَّ عمودان

ثم اخنى الدهر على هذه المدينة فلم تعُد تذكر الاَّ نادراً ولعلها خربت بزلزلة قبل الاسلام لان فيها آثار كنيسة كبيرة وليس فيها آثار جامع وبقي امرها ضعيفاً الى زمن الصليبيين فدخلتها جنود الملك بلدوين الثاني سنة ١١٢١ وزاد انحطاطها بعد ذلك فذكرها ياقوت الحموي وقال انها خرائب مهجورة

وآثارها الباقية الى الآن من اعظم آثار المدن الشرقية فلا يزال فيها ٢٣٠ عموداً من العمد القائمة بعضها من الطراز الكورنثي وبعضها من غيرهِ وفيها مشهد بثمانية وعشرين صفاً من المقاعد تسع ستة آلاف نفس وهو من اكبر ادلة عظمتها السالفة لان مشهداً يسع ستة آلاف من النفوس يقتضي ان تكون المدينة التي هو فيها فخيمة آهلة بسكانها وهم في رفاهة وبسطة عيش. ومن آثارها ايضاً ستة هياكل كبيرة احدها اعمدة واجهتهِ كورنثية وهو المشار اليهِ آنفاً وبركة كبيرة كانت تمثّل فيها الحروب البحرية ويؤتى اليها بالماء بقناة كبيرة لا تزال آثارها الى الآن وحمامان وقناطر نصر واروقة كبيرة وكان القسم الداخلي من المدينة مسوراً بسور عظيم محيطهُ نحو ميلين ولعلهُ كان يحيط بالجانب الحصين منها

والبلاد التي انتجت تلك المدينة وانجبت سكانها لم تزل على حالها ولم يتغير ترابها ولا تغير ماؤُها ولا هواؤُها . والإحالة على القدر والدهر اسلوب من اساليب التعبير لا يقصد بهِ اظهار حقيقة ولا تقرير حكم وانما الذي خرَّب المدينة والبلاد كلها فساد الاحكام فانهُ افسد مصالح العباد واخلاقهم فتولاَّهم الضعف ودبَّ فيهم الفناء فاصبحوا لا ترى الاَّ منازلهم او خرائبها

اليزا اڤرِت

ايتها النفس الزكية التي غادرت عالم الشقاء . وانتقلت من دار الفناء الى دار البقاء . اوحي اليَّ لكي اقوم ببعض الواجب من وصف اخلاقك الراضية . فلقد طالما كنتِ توحين الى بناتك وتبثّين في نفوسهنَّ روح القيام بالواجب في السر والعلانية . نُعيت الى بناتك ومريداتكِ على غير انتظار بعد بُعد الدار وشط المزار

وكنا قُبيْل الموت نستعظمُ النوى فقد صارتِ الصغرى التي كانتِ الكُبْرى
فشقَّ علينا النعيُ حتى كاد يشقُّ المرائر وما منَّا الاَّ كلٌ باكية تردّد قول مَن قال

فوا اسفا ان لا اكبَّ مقبلاً لرأسك والصدرَ الذي مُلئا حزما
وان لا أُلاقي روحكِ الطيب الذي كأنَّ ذكيَّ المسكِ كان لهُ جسما

ولدت فقيدة العلم والادب والفضيلة والمحبة في مدينة ولوبي من ولاية اوهيو باميركا سنة ١٨٤٣ وتعلمت في مدرسة بلدها ثم في مدرسة ليروي الجامعة بنيويورك ونالت الشهادة العلمية سنة ١٨٥٨ وعادت الى مدرسة ولوبي فعلمت فيها اربع سنوات وانتقلت منها الى مدرسة ليروي ثم الى مدرسة كانتون حتى اذا اتقنت فن التعليم وادارة المدارس علماً وعملاً دُعيت الى سورية سنة ١٨٦٨ لتدير مدرسة البنات الاميركية في بيروت . وكان همُّها الاكبر في اول الامر ان تتعلَّم اللغة العربيَّة وتبث النظام والتهذيب في المدرسة . وكانت ذكية الفؤاد رخيمة الصوت رقيقة القلب وقورة المجلس فاحبها تلميذاتها واكرمنها وبذلنَ جهدهنَّ في طاعتها وارضائها وهي لا ترضى بغير الاجتهاد والتأدب وحسن السلوك ولذلك نجحت المدرسة في عهدها ونبغ منها كثيرات من اللواتي تزدان بهنَّ مجالس مصر والشام في هذه الايام زوجات كنَّ وامهات او معلمات ومربيات . واللواتي اقمنَ منهنَّ في بيروت كنَّ ينتظرن زيارتها في بيوتهنَّ انتظار العيد ويحببنها حبَّ الاخت للاخت ويكرمنها اكرام البنت للام

وكان اسلوبها في التعليم اسلوب المساعدة والترغيب حتى يقبل التلميذات على العلم من انفسهنَّ

ويرغبن في الدرس ويستفدن منهُ · ورغَّبت التلميذات في درس العلوم الطبيعية كالطبيعة والفلك والحيوان والنبات مقتصرة على المعارف العامَّة منها · ولها كتاب حسن في علم الفلك النظري وآخر في علم الحساب العقلي وضعتهما كليهما باللغة العربية عدا كتابها في سيرة بولس الرسول

وامتازت بحب التنظيم والترتيب وبتدقيقها في المحافظة على القوانين فكنَّا نرهبها رهبةً شديدة ولا نخالف لها امرًا وهي تبدي لنا الحب والشغف ولكنها لا تتأخر عن قصاص من تخالف قوانين المدرسة القصاص المفروض لمخالفتها

وكانت هي نفسها القانون الاكبر والمثال الاوضح للسلوك والترتيب والتهذيب فان حركاتها وسكناتها وكلامها وسكوتها ومشيها وقيامها واكلها وشربها وتنظيم شعرها ولبسها ومقابلتها للناس وترتيب غرفتها وكتبها ومكتبها — كل ذلك كان دروسًا لنا وقدوةً نقتدي بها · ولا انسى سهرها علينا ولا سيما على المريضات منا وترحيبها بتلميذاتها اذا زرنها بعد خروجهنَّ من المدرسة فتضيفهنَّ ويضفنها كاخوات شقيقات وترحب بازواجهنَّ كاخوة واقارب

وعلى وفرة اشغالها كانت تكاتب تلميذاتها البعيدات عنها فتقصُّ عليهنَّ نوادر الاخبار وتسأَل عن سلامتهنَّ وسلامة ازواجهنَّ واولادهنَّ وتظهر لاولادهنَّ من الهشاشة والحب ما تظهرهُ الجدَّة لاحفادها

ومنذ سبع سنوات استعفت من رئاسة مدرسة بيروت وعادت الى اميركا وآخر كتاب كتبت بهِ اليَّ من هناك وصفت لي فيهِ دار المنقطعين بمدينة شيكاغو وما تجدهُ من السرور في تربيتهم وتهذيبهم فان بعض النساء الغنيات من تلك المدينة انشأْنَ هذه الدار للمنقطعين من الصبيان والبنات وانطنَ ادارتها بها

ثم جاءَني من رفيقتها في تعليمنا مسز تيلر التي كانت تعلمنا معها باسم مس لورن كتاب بتاريخ ١٧ فبراير تقول فيهِ ما ترجمتهُ "استطيعين ان تتصوري دهشتي وحزني حينما بلغني نعي عزيزتنا مس افرت يوم السبت الماضي (٨ فبراير) مرضت اربعًا وعشرين ساعة بالنزيف الدماغي لم تعِ فيها على شيءٍ ··· وقد نعتها اليَّ اختها ··· كم من ابنة وامرأَة في سورية ومصر تقمنَ الآن ويطوّبنها · سبعًا وعشرين سنة سعت في خدمة بلادهنَّ جعل الله سعيها مقبولاً لديهِ ونفع بها كل من عرفها"

هذا ما سطرهُ قلمي العاجز ايتها المعلمة الكريمة والصديقة العزيزة من وصف ما تركت. سقى الله ثراك صيب رحمتهِ ونفع بنات المشرق بعلمك وفضلك وعزَّى ذويك وعزانا جميعًا عن فقدك

ياقوت صروف

عروسة النيل

الفصل العاشر

عادت باولين الى غرفتها وقد انهكها التعب واعياها السهر وقلق البال فانطرحت على سريرها وحاولت النوم فلم تغمض اجفانها ثم طلعت الشمس ونفذت اشعتها الغرفة فنهضت لتقفل النوافذ اتقاء حرّها وبينما هي تعالجها ابصرت حيرام يسعى الى ضفَّة النهر فوثب الى قارب ودفعهُ عن البرّ فلم تجسر على مناداتهِ لئلاَّ يسمعها من في البيت ولما توسَّط الماء التفت نحو غرفتها فرآها واقفةً عند النافذة فلوَّح بالمجداف اشارة الى نجاح مساعيهِ ففهمت انهُ عابر الى العدوة الشرقية وانهُ يريد النبطي للاتفاق معهُ وارسالهِ في مهمتهِ فاقفلت النوافذ وعادت فاستلقت على سريرها وقد اخذ النعاس منها كل مأخذ فنامت نوماً ثقيلاً افاقت منهُ والشمس في رائعة النهار

وكان اعيان المصريين وكبراؤهم في ذلك العصر يتشبهون باليونان في عاداتهم وآدابهم واحوال معيشتهم حتى انهم كانوا يتكلمون اليونانية في بيوتهم واجتماعاتهم الاَّ اذا ارادوا مخاطبة الخدم والاتباع فبالقبطية لغة البلاد . وكان المقوقس واهل بيتهِ كغيرهم من الاعيان يتكلمون اليونانية حتى ماري حفيدتهُ فقد كانت تحسنها قبل ان تعلمت لغة اجدادها فلما ضمَّ المقوقس باولين الى بيتهِ عنيت بتعليمها الكتابة فسرَّ هو وزوجتهُ لاهتمامها وتعلَّقت بها نفس ماري واحبتها حباً شديداً فلم تعد تفارقها. ولما اشتد النفور بين السيدة نفورس وباولين ابت عليها ان تثابر على تعليم حفيدتها بحجة انها لقَّنتها يوماً ما شيئاً من كتاب صلوات الروم الملكيين وزعمت ان ذلك مفسد لعقيدتها والحقيقة انها احسَّت بانصراف حب ماري عنها الى نسيبتها فاقامها ذلك واقعدها ورأت ان تضع لهُ حدًّا فنهت ماري عن الاجتماع بباولين ولم تعد الاثنتان تتكالمان الاَّ خلسةً حين تأمنان عين الرقيب

فلَّما افاقت باولين ذلك الصباح عمدت الى شعرها فاصلحتهُ واخذت تتهيأُ للخروج فسمعت قرعاً خفيفاً على الباب ثم دخلت ماري وقد اشرق وجهها الحلو وبرقت عيناها فتقدمت الى باولين وقبَّلت يدها فاكبَّت هذه عليها وقبلت جبينها وشعرها ومسحت خديها ثم قالت لها

— ما بال الغزال مضطرباً

— انهُ الحرّ فقد سمعت المهذبة تقول ان مصر في الصيف جهنم على الارض وقد فارقتها تتقلب كالسمكة على الرمل

— وتخلصتِ من عناء الدرس على اني ارى آثار الدمع في عينيك فما الذي ابكاكِ

— لو قلتُ لكِ لغضبتِ

— كلاَّ

— لقد حدث اليوم حادث ذو بال في المجلس وبعد ان تفرقت الجماعة تبعت اوريون الى دار التحف فاقبل على القطيف كمن يعدُّ حجارتهُ وبينما هو كذلك وثبتُ على ظهرهِ فذعر شديداً واضطرب ثم دار اليَّ ولطمني لطمة شديدة فعجبت لقسوتهِ وخشونتهِ بعد لطفهِ وحنوّهِ فبكيت كثيراً ثم سجنني في دار التحف

—اخطات في ما فعلتِ فعمكِ شاب وليس من اترابكِ فلا يحسن بكِ ان تجاوزي حد اللياقة معهُ ولكن ما الذي تعلمينهُ من امر هذه الكلاب فقد اصابني صداع من نباحها

— هذه كلاب الصيد اطلقوها لاقتفاء اثر من سرق الزمردة من القطيف بعد ان خلى نعليهِ في القاعة فجرت الى باب غرفتكِ هذه ثم عادت الى مسكن سائس الخيل وبعد ان دارت فيهِ انطلقت تعدو في شوارع المدينة حتى دخلت بيت غمالائيل حيث فارقتها ولا اعلم بعد أأدركت السارق ام لم تدركهُ

فاصفرَّت باولين لسماعها هذا الخبر وعلمت انهم يطلبون حيرام وانهم يتهمونهُ بسرقة الزمردة وهو بريء منها ولما طال بها التفكير قالت ماري

ألاَ تظلين حزينة كئيبة فما الآخرين لا يحزنون مثلكِ

— لاني تعيسة وليسوا كذلك فقد قاسيت من الاهوال ما بدَّد الفرح من قلبي وشتت شملهُ واخشى انهم يطلبون حيرام عتيق ابي وهو من خير الناس واشدهم امانة وابعدهم عن السرقة

أوَ تعنين حيرام مربي الخيل صحيح فقد سمعتهم يتساءلون عن السائس الالكن

— اذاً لم اخطئ قصدهم. قالت هذا وجلست على كرسي وغرقت في بحر التاملات وطافت ماري في الغرفة حتى بلغت صندوق باولين المفتوح فرأَت العقد فرفعتهُ وتقلدتهُ وفيما هي كذلك قرعت كاترينا الباب ودخلت فاسرعت الى باولين وقبلتها ثم عطفت الى ماري لتحييها ولما رأَت العقد اخذتهُ منها ولبثت تتأَمل جمالهُ ودقة صنعتهِ التي كانت لا تزال بادية فيهِ رغماً عما خسرهُ من بهائهِ بانتزاع وسطاهُ ثم لبستهُ وتناولت من الصندوق عينهِ مروحة من ريش النعام ووقفت تمثل حركات الاميرات والنبيلات في بلاط الامبراطور وهي تضحك وتمزح كعادتها .
ولما فرغت باولين من ضفر شعرها دنت منها وامسكت العقد تريد نزعهُ فعلق موضع الزمردة

منهُ بثوبها فتركتهُ ماري وناولتهُ لباولين فالقتهُ في صندوقها ثم سأَلت كاترينا عن مكان اوريون فقالت انهما اتيا معاً وانهُ غادرها ليزور رستماً الجريح فقالت باولين

— هلمَّ اذاً الى الفطور ولا تنتظراني فقد ابطئ في النزول فقالت ماري بحقكِ لا تفارقيني فجدّي مريض وجدتي قائمة على خدمتهِ ومركبة كاترينا بانتظارها فاذا ذهبتِ بقيت وحدي فاجابت باولين اتبعكِ بعد ان ازور الجريحين وتقدمت الى غرفة ماندانى وقرعت الباب فاستقبلتها ممرضة من راهبات دير القديسة كاترينا فعلمت منها ان اوريون لم يطل المقام مع رستم فوقفت تفكر في امر حيرام ثم حانت منها التفاتة فرأَت في الغرفة المجاورة هاشماً والطبيب فيلبس منهمكين في الحديث وكان الطبيب في الثلاثين طويل القامة اصفر الوجه نحيل البنية ينبعث الذكاء والدعة من عينيهِ وفي عظام خديهِ بروز زائد وليس في ملامح وجههِ مليح سوى جبهتهِ وكأَنها في اتساعها وشخوصها قبة نخيمة على بناء حقير

وكان موضوع حديثهما اوريون وكان الطبيب محبًّا للعمل يحتقر الذين يقضون الحياة في البطالة وكرع الملذات ويعتبر العمر شيئاً مقدساً يجب قضاؤُهُ في ممارسة الاعمال التي تعود بالنفع على صاحبها وعلى البشرية بأَسرها فمن فعل غير ذلك اصبح عضواً مؤْذياً في جسم الاجتماع يجب اتلافهُ . وكان عالماً بسيرة اوريون واقفاً على ما فعلهُ بماندانى وغيرها من النساء فبات قذًى في عينيهِ اما هاشم فكان يرتإي العكس ويزعم ان الحياة حلم اجمل ساعاتهِ الشباب ويعتقد ان من واجبات المرء التلذذ في ربيع العمر هذا الى ان قال ومن العبث معاندة الاقدار فالمقدَّر كائن لا محالة وان اوريون اليوم كسفينة فارغة تديرها الريح انى تشاء لكنهُ سيجلي عن صفات طيبةٍ وطوية صافية وشجاعة غريبة فيما لو عبثت العواصف بسفينةٍ او حلَّت بهِ مصيبة ترتعد لها فرائص غيره . وفيما هما كذلك دخلت باولين عليهما فوقفا وحيياها احسن تحية وكان بين فيلبس وبينها شيء من الصداقة نشأَ فيهِ عن سوء معاملة نفورس لها وما ابدتهُ من الانفة والشهامة فانتصر لها وصار يحدثها كلما سنحت لهُ الفرصة ويجلو صدرها بالاخبار فطاب لها كلامهُ والفت فيهِ معزياً لها في كربها فلما جلست دار الحديث على ابيها فاخبر فيلبس هاشماً انها لا تنفك تبحث عنهُ الى ان قال وارى في ذلك خطاء كبيراً فاجاب التاجر

— اصابَتْ واخطأَتْ فلا يجدر بالمرءِ ان يستسلم لليأس . فقالت باولين وهذا عين ما اراهُ أَوَ لست القائل يا فيلبس انك لا تزال ترجّي المريض حتى يقطع الموت حبل الامل فانا اليوم كذلك وسانفق آخر درهم املكهُ في البحث عنهُ رضي انسبائي او ابوا . فقال هاشم

— وأنّى يتسنى لكِ ذلك وانتِ فتاة فلا بدَّ لكِ اذاً من معونة رجل ولما كانت مهنتي

تقضي عليَّ بكثرة التجوال والتطواف في البلاد فلو اذنتِ لي لكنت ذلك الرجل فساعدتك في طلب البطل توماً

— ذلك لكَ وسأذكر فضلك ما حييت

— سنلقاهُ باذن الله وسأتولّى الامر بنفسي ومتى عثرت عليهِ اعلمتكِ وساذهب اليوم الى الفسطاط لمقابلة عمرو بن العاص فاتكلي يا ابنتي على الله انهُ وليُّ التوفيق

الفصل الحادي عشر

وبعد انصراف التاجر خانها الجلَد وودَّت لو سأَلتهُ الشفاعة في حيرام فهرولت تريد لحاقهُ فقيل لها انهُ امتطى جوادهُ وعبر الجسر (الكبري) الى الفسطاط واخبرتها احدى الجواري انهم لم يلقوا القبض على حيرام فرأَت ان زمن الشفاعة لم يحن ولكنها عزمت على اتخاذ جميع الوسائل لانقاذهِ ولو باعترافها بما رأَتهُ تلك الليلة لكنها استحسنت انذار اوريون قبل الايقاع بهِ لعلمها ان ازاحة اللثام عن الجاني يجلب العار على اهل بيتهِ ولانها على كرهها لهُ لم تنسَ ما لابيهِ من الايادي عليها وما كان لطلعتهِ من الوقع في فؤادها ولما حارت في امرها رأَت ان تعاود الاجتماع بالطبيب لعلَّها تجد في حديثهِ ما يفرج ضيقها فعادت ادراجها الى غرفتي الجريحين فنظرت اليها الممرضة شزرًا وقالت لها "من اذن لك في الدخول الى هذا المكان وماذا تطلبين فيهِ" فاجاب الطبيب وكان منهما بحيث يسمع الكلام فقال "انا اذنت فلا تعترضيها" ثم التفت الى باولين وقال ان الجريحين على ما يرام من التماثل من جراحهما واظنكِ جئت تطلبين اوريون الجميل فقالت

— اعلم انني لا اكترث لاوريون اكثر من اكتراثي لامهِ على ان في نعتك اياهُ "بالجميل" شيئًا لا احب ان اسمعهُ بعد فقد اتيت لاكلمهُ في امرٍ ذي بال

اذًا علامَ عدتِ بعد انصرافك فلو كنتِ مريضة . . . .

— انا والحمد لله في صحة تامة ولكني في حاجة الى ما ينبهني من هذا السبات الذي انا فيهِ

— اذا اردتِ بالصحة المتعارف بها فانتِ منها بحيث تحسَدين ولكنكِ لست كذلك في ما اسميهِ صحة الفكر

— وما دليلكَ على ذلك اخطأٌ صدر مني

— معاذ الله ولكنهُ عدم اعتدادك بالسوى

— ومن تعني بالسوى

— جميع من في هذا البيت والمدينة والعالم فالناس في عينيكِ كالهباء المنثور او هم اقل قيمة منهُ

— ان عالمي في قلبي

— صحيح فالقلب فسيح يسع جميع ما نودعهُ على ان طول اقفالهِ يصدئهُ فاذا حاولنا فتحهُ حينئذٍ عجزنا ولا اخالك تنكرين انك كثيرة التلفت الى الوراء

— وما الذي القاهُ اذا نظرت الى الامام وما دليلك علي اني كذلك

— دليلي ما عرفتهُ من طباعكِ واخلاقكِ ووقوفي على بعض ما يدور في خلدكِ فعالمك اليوم يتألف من عيشة الرخاء التي قضيتها في ما سلف من عمرك قبل ان اتيتِ منف. اتذكرين تلك الصورة التي رأيتِها معي حيث احد المردة يجري ورأسهُ ملويٌّ الى الوراء

— نعم اذكرها

— انتِ كذلك فقد قال بعضهم ان الحركة من طبيعة الاشياء فاما ان تتابعي سائر الناس او تجري وعيناك الى الوراء والنتيجة ...

— انني اعثر واسقط

— لاخوف عليكِ من السقوط فقد منحتكِ الطبيعة من المواهب والاخلاق ما يندر مثلهُ

— وما عليَّ اذا اطلت التلفت الى الوراء ما دام لي فيهِ عزاء

— قد يكون كما تقولين ولكن فاتكِ انكِ بعملكِ هذا تدوسين على ارجل غيرك فتؤذينهم ويسيئون الظن بكِ

— ولو ظلماً فلا اذكر انني الحقت اذىً باحد

— ولكنكِ فعلتهِ مراراً غير متعمدة

— نخير لي ولهم اذاً ان نفترق

— يخال الذين يطلبون العزلة عن بني جنسهم انهم يأتون امراً عظيماً ولكنهُ حبُّ الذات يدفعهم الى الدير او الى الكهوف والمغائر لان انفرادهم يحرم المجتمع من اسعافهم ونجدتهم واراكِ ترغبين في العزلة فتكنين في صدركِ جميع ما لديكِ فقد لقيتِ عناءً وشقاءً فاتخذتهما طعاماً لنفسك وبئس الطعام السخيف ولا يخفى عليكِ انني مارست احوال هذا الدهر فرأيت المصايب تحيي النفس في بعض الاحايين فتعلّم المصابين ان يرثوا لغيرهم وان يسعوا لتخفيف كربهم والمكروب يجد من اللذة في بعض السرور ما لا يلقاهُ غيرهُ في الكثير منهُ وقليل من الفرح يدخل على قلبهِ الابتهاج والطرب. امّا انتِ فلا فائدة لكِ من حزنكِ لانهُ مقفل عليهِ في صدركِ فلو

حسبتِ نفسكِ واحدة من القوم وبذلتِ ما عندكِ من المواهب التي ورثتها عن اسلافكِ العظام وخصَّكِ بها الله لانعقدت القلوب على حبكِ ولم يعد الناس يرون فيكِ شجرة شائكة يتقون الدنوَّ منها ولا اسهب الكلام بعد في هذا الشان فقد كلفني قول ما قلت عناءً كبيرًا لاني آثرت غيظك لكني لست بنادم على ما فعلت فقول الحق رأس الواجبات ولكن جزاء المجاهرين بهِ ان يبتعد الناس عنهم حتى الاصدقاء. ولما فرغ من كلامهِ وقفت باولين وبسطت يدها وقد بدا الرضا في وجهها فقال لقد حققتِ آمالي فاقبليني أخًا لكِ وهلمَّ الى تلك الجارية الفارسية فاذا قمتِ على تمريضها برئتْ وعاودتها الحياة والنضارة. فتقدمتهُ الى غرفة ماندانى وهناك شرح لها ما يتهدد حياتها من الخطر وما اتخذهُ من الادوية لعلاجها وعلَّمها صنع الضمادات ووضعها ومقدار الجرعات وساعاتها وافهمها ان المجروحة تهذي فلا باس من مجاراتها على هذيانها الى ان تفارقها الحمَّى ثم غادرها هناك وانصرف

فلما خلت بنفسها اسندت رأسها الى كفها واخذت تقابل بين اوريون وفيلبس ذلك بجمالهِ وبهاء طلعتهِ وشرف حبهِ وهذا بقبح صورتهِ وسلامة طويتهِ واخلاصهِ واجتهادهِ وفضلهِ فقالت في نفسها لقد كذب المثل القائل ان الوجه عنوان القلب والاَّ لكان اوريون فيلبس وفيلبس اوريون. وعلمتْ انها لقيت في الطبيب صديقًا صدوقًا ثم عادت تفكر في امر حيرام فادركت ان لا بدَّ من وقوع النفرة بينها وبين اوريون ومجافاة اهل بيتهِ اذا هي اصرَّت على المجاهرة بالحق في ما تعلمهُ من سرقة الزمرّدة على ان ذلك لم يذهلها عن العناية بالمجروحة بحسب ارشاد الطبيب وجاءَت الراهبة الممرضة فوضعت يدها على جبين ماندانى ثم قالت لقد فارقتها الحمَّى تقريبًا فزال الخطر والحمد لله. فداخل باولين شيءٌ من السرور واحست كأن لهُ يدًا في شفائها ولما عاد الطبيب ورأى تماثلها سرَّ واثنى على باولين لحسن عنايتها بها وبشرها انها ستتعافى تمامًا ثم طلب اليها ان تبدل الضمادات ففعلت وهو يعجب بمهارتها فلما فرغت قال لقد حذقت الصناعة حتى يخالك الناظر من بناتها فاتركيها الآن نائمة فالنوم افضل دواءٍ لها ولا اظنكِ فطرتِ فاقبلي دعوتي وتناولي الفطور معي فاجابت وجلسا كلٌّ الى خوان صغير وجاء الخدم بالصحاف والكؤوس وبالطير المشوية واللحوم والفاكهة فقالت باولين

هل لك ان تطرفني بشيءٍ من تاريخ حياتك

— حبًّا وكرامة وسترينها حافلة بالمصاعب محفوفة بالمشاق فانا ابن نحويّ يوناني استقدموهُ من اثينا الى الاسكندرية ومات والداي وانا بعد فتىً ولم يخلفا لي سوى شيءٍ زهيد من المال استعنت بهِ على متابعة دروسي ثم اتخذت التعليم حرفة فتنقلت في مدارس الاسكندرية واثينا

وقيصرية وانا في ذلك الوقت اعمل في تحضير العقاقير والادوية وادرس الطبّ وكان طعامي في تلك الايام قاصرًا على الخبز والفاكهة وشرابي الماء القراح فلم اذق اللحوم والطير والخمر الاَّ في ما ندر وقد لقيت في سبيلي من العقبات والمشاق ما يفلّ الهمم الماضية على انها لم تثبط عزمي ولا اضعفت مطامعي فثابرت على العمل ولا صديق آنس اليهِ او قريب اعتمدهُ او الجا اليهِ الى ان تمَّ لي ان احصد ثمار ماغرست وانا اليوم صديق هورس ابولو كاهن ايسس وهو شيخ هرم منقطع الى الدرس والبحث وقد اتفق لي ان صادقت نفرًا من خيرة الرجال على اني لم اتوفق الى مصادقة النساء ومن كان وجههُ كوجهي فلا غرو اذا نفرت الحسان منهُ

— فانا اول صديقاتك اذًا

— نعم وصديقتي الاولى نادرة المثال وهو ما يعزيني على فشلي في ماضي العمر

— ولكن قُدّر لصداقتنا ان لا تطول ولا سبيل الى معاندة الاقدار

— وكيف ذلك فاني ابذل حياتي في الدفاع عنكِ

— لا تحتاج لجلّ ما يستطيعون ان يفعلوهُ بي طردي من منف

— ومن يجسر على طردكِ

— اولئك الذين لا يزالون يحسبونني اجنبية عنهم فاذا نجحوا كان مثلنا مثل ديونوسيوس القيرواني وابنهِ

وكيف كان ذلك

— جاء في المحفوظ من الروايات ان ديونوسيوس هذا ارسل ابنهُ الى مدرسة في اثينا وشرع ينشئ مقالة لهُ في ما يجب على التلميذ فعلهُ وما يلزمهُ اجتنابهُ فملأها بالحكم والامثال وقضى في تحبيرها اربع سنوات ولم يكد يفرغ منها حتى انهى الفتى دروسهُ ولم يعد في حاجة اليها فقد عقدنا عهد الصداقة ونحن نوشك ان نتفرَّق

— ولكن ما سبب انفصالكِ عنهم

— ستعلم ذلك قريبًا . فصاح وهو يتميز غيظًا

— من يخال طردكِ من منف امرًا سهلاً فقد خاب فألهُ . قد تتركين بيتهم ولكن مختارةً لا مكرهة فتخرجين منهُ عزيزة الجانب موقرة لكنني لم احسب انهم يقدمون على هذا الامر . ولم يتمّ عبارتهُ حتى دخل اوريون فلما رآهما كذلك دهش وقال

— اظنني ازعجتكما بدخولي فاجابهُ الطبيب

— كلاَّ

اوريون — ما احلى هذا الاجتماع فهل يتسنَّى لثالث ان يشترك فيهِ

الطبيب — لا حاجة لنا بثالث

اوريون — يسوءُني ان اقاطعكما ولكني آتٍ في مهمة وبعضها خاص بعتيقكِ يا باولين فقالت

— أَعاد حيرام

— قد اعادوهُ وامر ابي بعقد المجلس لمحاكمتهِ فاذا دعوكِ فتهيأي لشهود التحقيق وبودّي لو استطيع اسعاف الرجل

— فاذًا ساُجبَر على ازاحة اللثام عن الفاعل

— طبعاً وانت يا فيلبس فتنحَّ عنَّا فلي كلام اقولهُ لها على انفراد

باولين — قل ما تشاء بحضرتهِ فهو ممَّن يوثق بهِ

فهزَّ كتفهُ ودار ليعود من حيث اتى فلما بلغ الباب التفت اليها وقال

— لا تدعي الفرصة تفوت فحياة تابعكِ في خطر ولست اطلب منكِ مستحيلاً فترفضين.

فاومأَت باولين الى الطبيب بالانصراف فصدع باشارتها وبقيت مع اوريون وجهاً لوجه فقال

— ماذا جنيتُ يا باولين حتى بتِّ تتجنبينني كما يجتنب الابرص وعلامَ تبغين الايقاع بي

— لا ابغي الايقاع بك وانما اريد انقاذ تابع امين لي

— وتفعلين ذلك ولو آل الى هلاكي

— اذا اصررتَ على اتهام غيرك بذنب اقترفتهُ فلا تستغرب ذلك مني

— اذًا كنتِ ترقبينني الليلة البارحة

— رأَيتك اتفاقًا وانت خارج من دار التحف

— لا اتولى سؤَالك عن علة وجودك هناك في تلك الساعة من الليل ولا اظنهُ للاجتماع بحبيب افلقيتِ مني غير الصداقة والحب حتى تجاهري بعدائي

— أَوَ تتهمني بالاجتماع بعاشق ثم تمنُّ عليَّ بحبك وقد خطبت لنفسك اخرى

— ومن اعلمكِ بذلك

— امك

— فهمتُ الآن فهو الذي اثار البغضاء في صدركِ وفاتكِ ان غيرتكِ هذه دليل على حبك لي

— لا تخدعنَّك هذه التآويل فلستُ من الغبيَّات اللواتي يغويهنَّ كلامك العذب او تفتنهنَّ عطاياك فانا ابنة توما فاذا اراد خطيب غيري ان يطارحني الحب فليعلم ذلك المغرور

ان في النساء من تسخر بهِ فعدْ الى قضاتكِ وكن شاهد زور على حيرام فاطلعهم انا على الحقيقة وسترى من يصدقون · فصاح اوريون وقد كاد الغيظ يخنقهُ

— سيصدقون ابن المقوقس وليتكِ رجلٌ فاجبركِ على طلب الصفح مني · لقد اقترفتُ ذنباً كبيرًا وساجني عاقبتهُ ما دامت البغضاء تغلي في صدركِ وغيرتكِ تعمي بصركِ

— لا غيرة ولا بغضاء فمن انت حتى افديك باشد الناس امانةً في خدمتي واكثرهم اخلاصًا لي فليحكم القضاة بيننا

— لكن حكمهم سيخالف حكمكِ فلا تحرجيني وانتهزي هذه الفرصة قبل ان يحل بكِ ما تكرهين

— افأَنا اوخذ بذنبك ايضًا

— هل سمعتِ نباح الكلاب الساعة

— نعم سمعتهُ

— فاعلمي اذًا انهم قبضوا على حيرام وبعد ان شمَّتهُ الكلاب اطلقناها في البيت امام دار التحف فاجتمعت جميعًا على عتبتها وبعد الفحص عثرنا على وقع قدم بثلاث اصابع فاتينا بحيرام واذا في رجلهِ اليمنى ثلاث اصابع فقط وكان في الجانب المقابل اثر آخر علمتُ انهُ وقع قدمك وخلاصة ما يستنتج من ذلك ان اجنبيًّا طرق البيت في الليل وانسلَّ الى دار التحف فسرق الزمرّدة فهبكِ كنت مكان القضاة اتغضين عن جميع هذه الحقائق وتؤثرين عليها قول فتاة يعلم الناس انها عدوة ربة البيت وانها تبذل وسعها في انقاذ تابعها

— يا للفظاعة فحيرام لم يسرق زمردتكم وانما هي زمردتي باعها الصيرفي فهل خفي الامر عن عين هاشم حتى لم يستطع ان يفرق بين الاثنتين

— نعم والليالي حبالى يلدن العجائب افأَعطيتِ زمردتكِ لحيرام ليبيعها فتستعيني بثمنها على مغادرة منف . اراكِ صامتةً وهو علامة الايجاب فقد سلمنا انكِ تكرهين امي ولكن ما ذنب ابي وعلامَ تطلبين هلاك الابن

— لا اطلب هلاكك ولا اكره امك ولكن اباك ابى ان يعطيني من مالي ما ابحث بهِ عن والدي المنكود الحظ

فلما اعيتكِ الحيلة عمدتِ الى بيع تلك الزمردة النفيسة ولا ارتاب في ما تقولين فامي تحسبكِ مثال الصدق فاذا كنتِ لا تبغين ايقاع الاذى بي فاتبعي مشورتي واسمعي ما اقول

— قل

— اتدركين ما لشرف المرء من القيمة في عينيهِ او تجهلين ان في افتضاح السرّ عارًا عليَّ لا يمحى فاذا علم ابي بذنبي مات غمًّا وقهرًا وهذا تابعك يريد ان يتلبس بالجريمة فهو ساكت لا ينطق حرفًا فشاركيهِ في السكوت واذا اصرَّ القضاة على معرفة ما جاء بحيرام اليكِ في الهزيع الاخير من الليل فتمحلي ما شئتِ من الاعذار كأَن تقولي انهُ سرق الزمردة ليبحث عن سيدهِ المحبوب فاذا اسعفتني بهذا القدر فاني اقسم باعز الاشياء لديَّ وبراس ابي لاطلقنَّ سراحهُ بعد ثلاثة ايام من صدور الحكم واعوضهُ من سجنهِ تعويضًا عظيمًا فالتزمي الصمت ولك مني ما قلت

وكان كلامهُ كلام خائف حذر يلتمس شيئًا ولا يدري ما يكون جوابهُ فرقَّت لهُ واثَّر فيها تذللهُ واستعطافهُ وتبدَّى لها كشجرة يانعة اصابتها صاعقة فشقت جذعها فاذا لم يسرع البستاني فيسندها القتها الريح على الارض . فاطرقت ساعة ثم اجابتهُ الى ما طلب بشرط ان ينقذ حيرام ولمَّا وعدها بذلك اندفعت تخاطبهُ بكلام التوبيخ والتقريع حتى اعماهُ الغيظ وندم على اعترافهِ لها بجريمتهِ فتمكن كرهها في قلبهِ وتمنَّى لو كانت رجلًا فيحاربهُ ويقهرهُ ولكنهُ كتم ما بهِ فلما فرغت من خطابها قال

— ارى انفصالكِ عنا خيرًا لنا جميعًا من بقائك فتهيأي الآن للذهاب الى المجلس فالقضاة في انتظارنا

— وانتَ فاحرص على حياة تابعي واذكر وعدك

— اذا قمتِ بوعدكِ فعلت والاَّ فالحرب بيننا . فبرقت عيناها وصاحت

— ليكن كذلك فعندي حجة قاطعة ان الزمردة زمردتي

— ويلٌ لكِ اذا احرجتني

— قال هذا وانصرف من امامها

الفصل الثاني عشر

فارق اوريون باولين وفي صدرهِ منها حزازات فشقَّ عليهِ ان يهون بعد العزّ والرفعة وعجب ان امرأَة تجرأُ عليهِ بمثل ذلك الكلام وهو فاتن النساء ومغناطيس قلوبهنَّ نخطر ببالهِ شيء رآهُ في بعض الكتب وفيهِ ان من ارتكب جريمة ودرى بها سواهُ فحياتهُ وهلاكهُ بين شفتي ذاك فساءهُ ان يكون الواقف على دخيلة امرهِ باولين دون سواها وهي التي كان يخطب ودَّها ويتمنَّى قربها ويطلب رضاها فاصبحت الآن الدّ اعدائهِ على انَّ ما ابدتهُ من امارات الاحتقار والكره لم يخفِ عليهِ حبها لهُ فقال في نفسهِ ان الحبَّ ذو وجهين كالدينار احدهما الانعطاف

الشديد والآخر النفور فهي تريني الساعة الوجه الثاني على ان رنة الذهب لا تخفى ولو خفي نقشهُ واكاد اميز رنَّة الحب في كلامها القارص

وكان الحكم بالاعدام من امتيازات اسلاف المقوقس من يوم كانوا عمَّالاً في الاقاليم المصرية في زمن الفراعنة قبل غزوة قمبيز ملك فارس وكانت راية الصلّ لا تزال تخفق على قصور المقوقس في منف وليكوبوليس (اسيوط) والى جنبها علم القديس جرجس قاتل التنين . وظلّ الوالي من اسرة المقوقس صاحب السلطة والحكم بالاعدام وغيرهِ من العقاب على المجرمين من اتباعهِ وسواهم في هاتين المدينتين وما سواهما من الاقاليم التي في عملهِ واثبت الامبراطوزان يوستنيانوس وهرقل هذه الامتيازات بما اصدراهُ من الاوامر الملكية بشأنها فلما غزا العرب مصر واستولوا عليها ابقوا على امتيازات واليها كما تقدم

وكان المجلس المكلف بالنظر في القضايا الخاصة بقصر المقوقس مؤلفًا من كبار رجال القصر برئاسة الوالي نفسهِ فاذا غاب اناب عنهُ ابنهُ اوغاب عنهُ تولّى الرئاسة نيلس الخازن لما اشتهر بهِ من بُعْد النظر والحكمة والخبرة فامر المقوقس ابنهُ اليوم ان يرأس المجلس بنفسهِ ودفع اليهِ خاتمهُ علامة السلطة واوصاهُ بمعاقبة الجاني اشدَّ العقاب تأديبًا لهُ وارهابًا لغيرهِ لكنَّ اوريون لم ينسَ وعدهُ لباولين فتوسّل الى ابيهِ ان يخولهُ السلطة التامة في امر الحكم وقال ان هاشمًا من ذوي الانصاف واهل المروءة والاحسان فلا اخالهُ يصرّ على قتل السارق فضلاً عن ان حيرام ليس من اتباع القصر ولكنهُ في خدمة نسيبتنا فسرَّ المقوقس لاعتدال ابنهِ واذن لهُ باعتماد رأيهِ وتمنى لو يستطيع الحضور في المجلس لكي يراهُ بعينيهِ يتولّى زمام اشرف الاعمال واعظمها فقبّل اوريون يدهُ والكآبة ملءُ صدرهِ لعلمهِ ان مدح ابيهِ واقع في غير محلهِ ولانهُ لم يجهل هول موقف يتَّهم فيهِ بريئًا بجريمتهِ ويحكم عليهِ

ولما دخل المجلس وجد فيهِ مرضع باولين تخاطب نيلس الخازن وهي تبرق وترعد وتقسم ان حيرام بريءٌ وانهُ باع زمردة سيدتهِ لا زمردة القطيف بدليل ان العقد لا يزال في صندوقها وفيهِ مكان الزمردة الى ان قالت او يسرّكم ان تأْتوا بابنة توما العظيم الى هذا المجلس كأنها من عامة الناس . فلما سمع اوريون ذلك امر بسجنها موقتًا فذهل نيلس لحدة سيدهِ واضطرب لاضطرابهِ وخال اوريون ان باولين خدعتهُ فلزمت الصمت بحسب وعدها وارسلت مرضعها الى نيلس احذق القضاة وادهاهم فباحت لهُ بالسرّ وسردت لهُ الادلّة المثبتة براءة حيرام فاشتدّ بهِ الحنق وعزم من تلك الساعة على ردّ كيدها في نحرها فاطرق هنيهة ثم هبّ من مكانهِ واسرع الى كوخ بوّاب القصر وكان هذا البواب في شبابهِ حدادًا وصانع اقفال فلما شاخ دخل في خدمة

المقوقس وظل يعمل في صناعتهِ كلما دعت الحاجة وكان اوريون في صباهُ يتردد اليهِ ويلهو بمساعدتهِ فيفك الاقفال ويصلحها ويصنع صناديق صغيرة من الخشب المحنور ويقدمها هدايا لوالديهِ في عيد ميلادهما وهو العيد الذي كان المصريون القدماء يحتفلون بهِ ويتبادلون فيهِ الهدايا. فلما بلغ الكوخ تناول شيئًا من الادوات فدسَّهُ في جيبهِ ورأى باقة من الزهر كان قد قطفها قبلُ لباولين فحملها ايضًا واسرع الى غرفتها فاقفل الباب وجثا امام صندوقها بعد ان طرح الازهار على مائدة قائلاً اذا ابصروني قلت انني جئت لاعطيها الباقة

ثم عمد الى لوالب مفاصل الصندوق فحلَّها وقلبهُ يخفق خوفًا وجزعًا ويداهُ ترتجفان فلما نزعها رفع الغطاء شيئًا فشيئًا خشية ان ينكسر القفل ومدّ يدهُ الى الداخل فكان اول ما لمستهُ العقد فاخرجهُ ونزع منهُ موضع الزمردة فاخفاهُ في جيبهِ وبينما هو كذلك خطر لهُ خاطر ارقصهُ فشق ثوبهُ واخرج سلسلة من الذهب متدلية من عنقهِ وفي طرفها حجر كريم نفيس عليهِ نقش قديم من افخر ما صنع الصنَّاع فنزعهُ من مكانهِ ووضعهُ في العقد مكان الزمردة ورد العقد الى الصندوق ثم اطبق الغطاء واعاد المفاصل واللوالب الى مكانها واحتمل الازهار بيدهِ وسار الهوينا الى الباب ففتحهُ واطلَّ منهُ فاذا الجوّ خال فاسرع الى الطبقة السفلى وهو يطفر ابتهاجًا فلقيتهُ مهذبة ماري فحياها ورمى اليها بالباقة فشكرتهُ واكبرت تنازلهُ اما هو فسار الى المجلس فدعاهُ نيلس لتبوء كرسيّ الرئاسة ففعل وبعد ان استراح وقف وشرح القضية واتى على البينات التي تصرف التهمة الى تابع باولين وكان كلامهُ متقطعًا والارتباك باديًا عليهِ ولم يخفَ ذلك على القضاة لكنهم نسبوهُ الى حداثة عهدهِ في القضاء ولما فرغ اومأ الى حيرام وامرهُ ان يدافع عن نفسهِ فتمتم شيئًا ثم قال انهُ بريء من التهمة وان في استطاعة سيدتهِ اظهار براءتهِ للملإِ فالتفت اوريون الى القضاة وقال

ان سيدتهُ فتاة عريقة الحسب ولها نسابة بنا فلا يليق بنا ان نمرّغ اسمها في هذه الحمأة على اني سمعت مرضعها تقول شيئًا لنيلس قد يؤُول الى تبرئة المتهم لكننا نتخذ جميع الوسائل لكشف المخبإ ولما كنتم غير واقفين على تفاصيل المسأَلة رأَيت ان اعلمكم ان سيدة المتهم شديدة التعلق بهِ فهو ومرضعها البقية الباقية لها من بيت ابيها فيحتمل اذًا ان شريفة مثلها تحوّل شيئًا من التهمة اليها لتنقذ تابعًا امينًا مخلصًا في خدمتها افترون اذًا ان ندعو المرضع او تكتفون بما قالتهُ لنيلس دفاعًا عن المتهم فاجاب نيلس

— لقد سمعتَ بنفسك يا مولاي ما سمعتهُ انا ايضًا ولما كنت لا استطيع اعادة قولها تمامًا فليؤتَ بها الى الحضرة فاستحسن الباقون رأيهُ واتي بها فلما سئلت عما تعرفهُ لثبات السرقة قالت

ـــ لقد غالى حيرام في الصمت والحقيقة ان سيدتي لا يهمها من الوجود سوى البحث عن ابيها فلما فرغت دراهمها واعيتها الحيلة امرت عتيقها هذا بنزع زمردة كبيرة من عقد لها وبيعها ففعل وهي الزمردة التي اتهموهُ بسرقتها. فوقع كلامها وقعاً شديداً في نفوس القضاة ومالوا جميعاً الى تبرئة حيرام ففطن اوريون الى مرادهم فقال

ـــ من العجب العجاب ان يخلق في ساعة واحدة حجر يماثل حجر القطيف بحيث لا يستطيع امهر الصاغة التفريق بينهما وما حكاية هذه العجوز سوى حديث خرافةٍ يقصد بهِ مخادعتنا عملاً بوصية سيدتها التي تريد ذرّ الرماد في عيوننا وتطلب تبرئة تابعها ولو كلفها ذلك عناءً كبيراً هذه هي الحقيقة فهل تصرّين يا امرأة على ما قلتهِ او لكِ كلام آخر تثبتين بهِ صحة دعواكِ.

فلما سمعت المرضع كلامهُ وكانت تحسبهُ نصيراً لسيدتها استشاطت غيظاً فصاحت بهِ

ـــ لقد قلت الصدق وعقد سيدتي في صندوقها وفيهِ مكان الزمردة فهو اصدق شاهد على صحة قولي. فاجاب اوريون

ـــ لم يبقَ مندوحة من دعوة السيدة باولين الى المجلس فسِرْ اليها يا نيلس وليأْتوا بذلك الصندوق ايضاً وادِّ لها واجب الاحترام كما يليق بمن كان مثلها من الشريفات. فصدع نيلس بالامر وبعد قليل عاد بها وبالصندوق فحياها اوريون واومأً اليها بالجلوس ثم طلب الى نيلس ان يشرح لها سير القضية الى تلك الساعة وان يوقفها على ما يعدهُ القضاة دافعاً لها في عملها هذا ونفهمها ان العدالة ستأْخذ مجراها. ورأَت باولين الشرّ بادياً في عينيهِ ففهمت انهُ سيخلف وعدهُ ظنّاً منهُ بانها ارسلت المرضع سرّاً لتطلع نيلس وسائر القضاة على كنه الامر فيبرئوا حيرام ويلقوا تبعة السرقة على مرتكبها فوقف نيلس وشرح القضية الى ان قال ونحن جميعاً آذان لاستماع دفاع السيدة النبيلة عن نفسها وعن تابعها ثم ننظر في هذا الصندوق والعقد الذي فيهِ. فاستحوذ القلق على اوريون وعلا وجههُ الاصفرار واحسَّ كأَنهُ المجلس بما فيهِ محجوب عن عينيهِ بحجاب من الضباب وعلم ان باولين ستخذل وتفشل في مناوأَتها اياهُ لكنهُ تمنّى مخرجاً لهُ من ضيقهِ دون ان يكلفها ذلك العناء وايقن انهُ بفعلتهِ هذه سيخسرها وتنقضي بخسارتها سعادتهُ فلما فرغ الخازن من الكلام رمت باولين مفتاحاً على المائدة وقالت فليفتحوا الصندوق فاسرع بعض الخدم وفتحوهُ فتناولت العقد ورفعتهُ لكنها لم تكد تراهُ حتى طرحتهُ على المائدة وصاحت يا للعار وخارت قواها فتمايلت كالثمل واتكأَت على مرضعها لئلاَّ تسقط الى الارض فدنا منها اوريون يريد اسعافها لكنها رشقتهُ بنظرة ملؤُها الغيظ والاحتقار وحرقة القلب فثبت في مكانهِ فعمدت الى كرسيٍ وجلست. واذهل القضاة ما رأَوهُ فتقدم قائد الحرس فرفع العقد وشرع يتأَملهُ فلما بلغ

وسطاهُ قال هذا لعمري حجر كريم والذي يزيد في قيمتهِ ما عليهِ من النقش فهذا اله الحبّ وتلك الاهة العقل عشيقتهُ تبشُّ في وجههِ ويلوح لي ان السيدة اخطأَت فاخرجت عقداً غير الذي نحن في صددهِ فهل رأَيت يا غمالائيل انفس من هذا. فقاطعهُ اوريون وامرهُ بالصمت ودنا نيلس من باواين وسأَلها عمَّا اذا كان العقد الآخر لا يزال في الصندوق فلم تجبهُ لان الذهول والدهشة اخرساها وحارت باية معجزة تسنَّى لاوريون ان يفعل ما فعل لعلمها ان مفتاح الصندوق مربوط بسلسلتها فشقَّ عليها ان ينتصر الباطل ويدحض الحق فهبَّت من سباتها وعاودها النشاط والقوة فعزمت على الدفاع الى النهاية لكنَّ قلبها أَبى عليها ان ترمي اوريون بالسرقة فتشهرهُ وتعبث بصيتهِ وذكرت وعدها لهُ واحسان ابيهِ اليها فرأَت ان تحفظ الوعد وتقابل احسان الوالد بالعفو عن ابنهِ وكانت تفكر في امرها واوريون ينظر اليها ويحاول الوقوف على ما يدور في خلدها ثم انتبهت الى حيرام وقد شدوا وثاقهُ وربطوهُ الى سارية كما كانوا يفعلون بالمجرمين فخطر لها ان سكوتها قد يؤَدي الى هلاك نفس بريئة فاذا خلصت هي فلن يخلص فعاودها عزمها الاول وحوَّلت وجهها عنهُ الى القضاة وقالت

— لقد خُدعتم وانطلت عليكم حيلة يراد بها اذلالي وقمعي فانظروا الى هذا الموثق واحكموا ما اذا كان في وجههِ ما يدلُّ على ارتكاب الجرائم وقد بلوتُ امانتهُ واخلاصهُ بنفسي يوم رماني الدهر بنكباتهِ فانهُ ابى ان يتخلى عني انا المسكينة اليتيمة فترك زوجتهُ وابنهُ وتبعني والآن فاذا اردتم الوقوف على الحقيقة تكلمت والاَّ . . . . فصاح اوريون تكلمي فقالت

— يعلم ابن المقوقس ورئيس هذه الجلسة ان بوسعي الوقوف موقف الشاكي لكنني احجم اكراماً لخاطر ابيهِ الكريم ولاني اعزُّ شأْناً منهُ وهذه الاشارة تكفيهِ امَّا الزمردة فقد اقتلعها حيرام بامري من عقدي امس في الليل وقد رأَى غيري العقد بعد ذلك وشاهد موضع الزمردة فيهِ وبقي العقد على حالهِ الى ما بعد ظهر اليوم حين علَّقت يد جان اثيم هذا الحجر بهِ ولما كان هذا الحجر نفيساً يساوي الالوف فالفاعل ذو ثروة طائلة ولعلَّهُ اغناكم وانت يا غمالائيل فبكم تقدّر ثمنهُ . فاجاب

— لم تقع عيني على مثلهِ واني اشتريهِ بوزنتين على اعوازي

فذهل القضاة وداخلهم العجب فقال اوريون

— ان هذا من خوارق المعجزات فقد نمي الينا اخبار عن ألكرم حتى خلنا ان هذه الخلة ضاعت ولم يبقَ سوى اسمها فاذا بها اليوم فينا فلعلَّ مارداً هوى الى الارض فاستبدل قطعة من الذهب بحجر كريم كهذا فاخبرينا ايتها السيدة من رأَى العقد

— رأتهُ ماري حفيدة المقوقس

— اتعنين تلك الطفلة التي تكاد تعبدك والتي تطيعك كما يطيع الكلب صاحبهُ

— لم ترهُ وحدها فقد كانت كاترينا ابنة سوسنَّة هناك ايضاً وهي ليست بطفلة بعد فاطلب اليكم ايها القضاة باسم العدالة ان يؤتى بهذين الشاهدين فنسمع كلامهما فقال اوريون

— اما شهادة ماري فمردودة لانها قاصرة فلا تعتبر شرعاً وفضلاً عن ذلك فحضورها وتخلفها منوطان بجديها ولا ارضى ان يقترن اسم احدٍ من اهل هذا البيت بهذه القضية اما كاترينا فحكمها غير حكم تلك ومن واجبات المحكمة ان تأتي بها وتسمع شهادتها وهاندا ذاهب لادعوها. فارادت باولين ان تستطرد الكلام فمنعها وقال ستقولين ما تشائين بحضرة الشاهدة ولا ريب عندي ان الزمردة اتتكِ من ابيكِ قال هذا ساخراً فصاحت باولين

— ان شقياً مشاركاً لك في الجريمة دخل غرفتي اثناء غيابي فكسر قفل الصندوق او فتحهُ بمفتاح مصطنع وفعل ما فعل

— لا اسهل من تحقيق ذلك ثم امر ان يرفعوا الصندوق ففعلوا وطلب من احد اعضاء المجلس ان يفحص القفل وكان هذا الرجل فاضلاً صادقاً خبيراً بالحِرَف اليدوية والآلات وكان عملهُ في القصر اصلاح الساعات المائية والادوات والموازين والمكاييل وغيرها فامتثل امر اوريون وتفحص القفل فالفاهُ سليماً ثم عمد الى المفتاح فاذا بهِ مما يصعب تقليدهُ فلما فرغ اعلن رأيهُ فحُصرت باولين فامر اوريون ان يفصلوا بينها وبين المرضع في غرفتين الى ساعة عودتهِ بكاترينا

واختلط الامر على القضاة لتعاقب هذه الالغاز ولم يكن بينهم من يرتاب بصدق ابن مولاهم واخلاص طويتهِ لكنهم عجبوا كيف لم يستطع على ما لهُ من السلطان على النساء ان يكتسب حب تلك الحسناء فاثار سخطها وهاج بغضاءها وساءهم منها اتهامها اوريون بفتح صندوقها لكن لهجتها وحدتها ومجمل حركاتها اثرت فيهم فانتظروا عودة اوريون بكاترينا قائلين اذا جاءت شهادتها مطابقة لقول باولين كان الحق في جانب هذه وعاودنا التحقيق من باب آخر

وكان الوقت نحو الزوال وقد جلست السيدة نفورس وسوسنة وابنتها كاترينا وماري ومهذبتها في ايوان يطل على البستان والنيل يروحنَ النفوس في النسيم البليل وقد غطين وجوههنَّ بنقب رقيقة ليتقين لذع البعوض واخذن يتعللن بشيءٍ من الشراب المنعش وبينما هنَّ كذلك طلع عليهنَّ اوريون فلما ابصرنهُ قالت امهُ وقد راعها اضطرابهُ

— ما الخبر فقال

— لقد دافعت باولين عن عتيقها دفاع اللبوة عن اشبالها فقالت امهُ

— وغرضها من ذلك تكدير صفائنا فقال

— لا يا اماهُ ولكنّ لها عزماً يذلّ الحديد فاذا ارادت امرًا بذلت النفس والنفيس في طلبهِ وقد ادهشتنا بقوة حجتها وبراعتها في سرد الادلّة حتى لقد يحسدها اعظم المحامين في القسطنطينية على سلامة ذهنها وقد خلبت فصاحتها وجمالها الباب موظفي بيتنا على ان غيرتها المحمودة لن تفيدها مثقال ذرة فالبينات على جريمة حيرام عديدة جليّة ومن جملة ما ادعتهُ ان كاترينا وماري رأَتا عقدها بعد ظهر اليوم وابصرتا مكان زمردة مقلوعة منهُ فهل ذلك صحيح فاجابت كاترينا

— لكنها اختطفت العقد منا . فاعترضتها ماري وقالت

— ذلك لاننا تقلدناهُ على غير رضاها . فصاحت امهُ

— وتريد عظمتها الآن ان يؤْتى بابنتينا ليؤَديا شهادتهما

— نعم يا اماهُ على ان شهادة ماري لا تعتبر شرعاً اذ هي لا تزال قاصرة

— وهب القانون يجيزها فلا اسمح ان يقترن اسمها بهذه القضية . فقالت ماري

— انكم تابون عليّ تأْدية الشهادة لئلا اقول الحق فتنتصر باولين فقالت جدتها

— اخرسي فقيادكِ ليس في يدك وما الامر من شؤُونكِ وقالت سوسنّة

— يشقُّ عليّ ان تقف ابنتي امام هؤُلاء القضاة فقالت كاترينا

— لينتظروني ما شاؤوا فلست بذاهبة اليهم فاجاب اوريون

— ذهابك واجب وللمحاكم ان تستدعي من تشاء ولها ان تجبرهُ على الحضور فسيري معي ولا تخشي بؤْساً ومتى اديتِ الشهادة اعدتكِ الى امكِ . وانتِ ياسوسنّة فلا تبخلي عليّ بها اليوم وستحدثك بعد عودتها بما تلقاهُ من عنايتي. ولم تكن كاترينا لتكره الذهاب مع اوريون والعودة معهُ فرقص قلبها فرحاً واستفزها الحب الى طاعتهِ فنهضت من مكانها وتقدمت اليهِ فتعلقت بها ماري وتوسلت اليهم جميعاً ان يأْذنوا لها ايضاً بالذهاب لتأْدية شهادتها فارغمتها جدتها على البقاء وهمست نفورس في اذن سوسنة فقالت سيقفان اليوم امام القضاة وعمّا قليل امام الكاهن ان شاء الله

امّا اوريون فسار بكاترينا ولم يذهب توًّا الى المجلس بل اختار الطريق الابعد دائرًا حول البيت فلما صارا بحيث لا تراها السيدات امسك يدها وقبلها فلم تزجرهُ على ان الحياء والسرور غلبا عليها وملأَا قلبها فقالت آه يا اوريون

— ولكنَّ هذا حقي ولو كان قلبك يخفق كقلبي لسمعتهما والدتانا

— لكن فؤادي مضطرم بهواكِ

— ايت ما تقولين صحيح. ثم طفق يشرح هواهُ ويحدثها باحاديث الغرام ويطارحها الحبَّ حتى اسكرها وكان المساء حارًّا واريج الازهار يتضوع في البستان والقمر يرسل اشعتهُ من خلال الاوراق فيزيد الموقف بهجة والصدور انشراحًا فاخذ اوريون يدعوها باحب الاسماء وينعتها باجمل النعوت الى ان ثملت فقبَّلها مرارًا وهي تحسب ان السعادة حلَّت عليها وان الطبيعة عنيت بامرها فمهدت لها سبل العيش الهنيء والمستقبل السعيد وتمنت لو تدوم تلك الساعة وان ذلكِ الاجتماع لا ينقضي لكن اوريون لم ينسَ المجالس ولا ذهل عن غرضهِ من صحبتها فتأَوه وقال

— اود البقاء هنا وتدعوني الواجبات الى مغادرة هذا الفردوس فهيا بنا يا حبيبة الى المجلس اني يسوءُني ان يكون لباولين من الشأْن في هذه القضية ما لها ولو كان في وسعي الدفاع عنها لفعلت. واخذ يثير غيرة كاترينا بهذا الكلام ونحوهِ فوصف جمال باولين وشمما حتى اثار وجدها فلطمتهُ على يدهِ وقالت

— آمنًّا ان باولين ملاك نازل من السماء فقُلْ لي الآن من تحب منَّا نحن الاثنتين واقصر عن اثارة غيرتي . فقال

— اتسأَلينني وانت تعلمين انها القمر البارد وانك الشمس الحارَّة فانترك باولين لاحد آلهة اولمبس فانا قانع بحبيبتي كاترينا فهي شريكة حياتي وقسيمتي في افراحها

— ان شاء الله

— لقد اضاؤُوا المصابيح في المجلس وكدنا نذهل عمَّا امامنا فهيا بنا. ثم تردد هنيهة وقال اتذكرين العقد الذي رأَيتهِ بعد ظهر اليوم

— نعم فقد كان بديع الصنعة لولا ان في وسطهِ قطعة من الذهب مشوهة مكسورة

— يلوح لي انكِ ذهلتِ عن رؤْية الحجر الكريم في تلك القطعة

— لم يكن فيها حجر كريم ولا يغرب عنك ان لي دراية بهذه الجواهر فقد خلَّف ابي مجموعة نفيسة منها ستعطيها امي لزوجي

— على ان ذلك لا ينفي خطأَكِ في مسأَلة العقد فقد يحدث انكِ ابصرتِ قفا القطعة المذكورة

— ولكن يا اوريون ....

— اقسمت عليكِ الاَّ تناقضيني فسأَستسلم لآرائكِ اما اليوم فاذا ناقضتني فالعاقبة وخيمة عليَّ ولست ادَّعي العصمة لكني ارتاب في صحة قولكِ فاذا لم تجيْ شهادتكِ مطابقة لقولي

كنتُ في عيون القضاة كاذبًا ونحن الآن خطيبان فما يضرُّ احدنا يضرّ الآخر وما يفيدهُ يفيد ذاك ولا يخفى عليكِ ان القضاة سيحلُّون شهادتك محلاً رفيعًا لما يعلمونهُ من صدقكِ وانكِ خطيبتي وربة هذا البيت في المستقبل فاذا لم تجيبيني الى سؤلي الآن كانت دعوى حبكِ لي فارغة وليس ما اطلبهُ منكِ بالامر العسير فقولي فقط انكِ رأَيتِ العقد وابصرتِ فيهِ حجرًا كريمًا منقوشًا عليهِ صورتا الحب والعقل

— اقول هذا للقضاة

— نعم يا ملاكي ولا يليق بكِ ان تردّي اول طلب اطلبهُ منكِ فاذا كان في قلبك شيءٌ من الحبّ لي فلا تعملي على اذلالي امام باولين

— وماذا يهم الناس أَحجر كريم كان في العقد ام قطعة من الذهب

— ستعلمين ذلك في ما بعد

— اريد ان اعرف الآن

— يضيق بي الوقت عن تفصيلهِ وقد عيل صبر القضاة

— سافعل ما تقول واراني ساذوب خجلاً فاسدل نقابي علي وجهي فلا يراني القضاة

— مثلكِ مثل النعامة وهانذا افعل

وبعد ان اسدل نقابها كما ارادت سار بها الى غرفة الانتظار وتقدم وحدهُ الى المجلس فاخبر القضاة ان الارملة سوسنَّة اذنت في ارسال ابنتها اليهم تحت رعايتهِ على شرط ان يعيدها اليها بعد تادية شهادتها. ثم امر باحضار باولين ولما خلت كاترينا بنفسها في غرفة الانتظار اخذت الافكار تتقاذفها فخشيت ان يكون ما طلبهُ اوريون منها محض كذب لكنها عادت فقالت ان ذلك مستحيل فاوريون احسن الناس واسلمهم طوية فلا يكلف غيرهُ ارتكاب جرمٍ كهذا ورأَت ان من واجباتها الدفاع عنهُ ووقايتهُ من كل شرٍّ وخطرٍ ثم ذكرت ما قالهُ من ان التناقض في قوليهما يفضي الى اذلالهِ ويجبرهُ على التسليم لباولين وهو ما كانت تعافهُ لغيرتها من اليونانية بعد ان سمعت منف باسرها تلهج بوصف محاسنها وتعدها خير عروس لابن المقوقس وعلمت ان ليس لها في بنات المدينة مزاحم غيرها فاخذت تلتمس لنفسها الاعذار ردًّا على ما تولد فيها من الريب وظلت كذلك الى ان عاد اوريون فادخلها الى المجلس ولمَّا سئلت عن العقد اجابت انها رأَتهُ عند الظهر وابصرت فيهِ حجرًا كريمًا فأَروها الحجر وسأَلوها عما اذا كان عين الذي رأَتهُ فقالت

— انا اكره هذه النقوش الوثنية ونحن بنات اليعاقبة لا نتحلى بها

فدنت منها باولين وعيناها تقدحان شررًا وقالت

— اشرتِ الساعة الى مذهبك وهو يأمرك بقول الحق فاعلمي ان لشهادتكِ قيمة عظيمة في فصل هذه القضية فتبصَّري في ما تقولين ولا تعتصمي بالكذب . فصاحت بها كاترينا

— ليس الكذب عادتي وقد تعلمت ان اتبصَّر في ما اقول قبل قولهِ فقد كان هذا الحجر في هذا العقد . فصاحت المرضع يا لكِ من شقية . فارتعدت كاترينا واجالت نظرها في انحاء المجلس تلتمس ما تستند اليهِ فاسرع اليها اوريون واجلسها وامر بسجن المرضع عقابًا على شهادة الزور وباطلاق سبيل باولين واعادة صندوقها الى مكانهِ ولمَّا فرغ دنت باولين من الخوان فتناولت العقد وفصلت الحجر عنهُ ثم رمت بهِ الى عمالائيل وقالت

— وهبتك هذا الحجر ولعلّ اللئيم الذي علقهُ في عقدي يستردهُ منك فهذا العقد لامي وهو هدية الامبراطور ثيودوسيوس القديس اليها فلا اطيق ان انجسهُ بهدية لئيم غدَّار ولطرحهُ في النيل اهون عليَّ من ذلك فقد خُدعتم ايها القضاة فحيرام من اصدق الناس واخلصهم طوية ولن انسى معروفهُ الى الابد اما هذا واشارت الى اوريون فهو شر ابن لخير اب . فصاح اوريون كفى فقالت

— سمعًا وطاعة على ان ضميرك سيقرأ عليك اضعاف ما تحظر عليَّ قولهُ . ثم دنت منهُ وهمست اليهِ قائلة لقد ابيتُ ان اورد حجتي الكبرى قيامًا بوعدي لك فافعل انت كذلك وانقذ حيرام والاَّ فانت اخس الناس واحطهم . فوعدها خيرًا فالتفتت الى كاترينا وقالت امَّا انتِ ايتها الفتاة فلا اعلم ما يعدهُ لكِ ابن المقوقس من اسباب الشقاء لقاء نصرتكِ لهُ اليوم . ثم انصرفت وقد كاد الغيظ يخنقها وسارت الى غرفة ماندانى فجلست بجانبها وهناك انهمرت الدموع من عينيها ورآها الطبيب كذلك فاخذ يعزيها ويطيب قلبها فلما ثابت الى السكينة حدثتهُ بجميع ما جرى لها

اما اوريون وكاترينا فعادا من المجلس كسيفي البال وكلٌّ منهما يفكر في شانهِ فوجدا سوسنة وحدها بانتظارهما لان نفورس فارقتها لتذهب الى زوجها الذي كان يتقلب على فراش الاوجاع فرافق اوريون الارملة وابنتها الى مركبتهما وعاد الى المجلس فسرد خلاصة القضية على القضاة واتى على ذكر الادلة التي تثبت التهمة على حيرام وبعد ان تداولوا ساعة حكموا على المتهم بالاعدام لخرقهِ حرمة بيت وارتكاب السرقة الاَّ نيلس الخازن فانهُ انشق عنهم فامر اوريون بتاجيل انفاذ الحكم . ولما ارفضت الجلسة اختار اسرع جيادهِ فامتطى صهوتهُ ولكزهُ فاندفع الجواد يعدو بهِ في عرض الصحراء

ستأتي البقية

فتح المكسيك

اتَّصل بنا الكلام في الجزء السابق الى ان خمسة من الرؤساء جاءوا كورتس ذات يوم وفتحوا لهُ باباً للامل بعد ان يئس من الاقامة في تلك البلاد . وكان اثنان منهم يعرفان لسان الازتك فكلمتهم مارينا بهِ فاخبراها انهم من اهالي سمبوالا عاصمة بلاد التوتونك . والتوتونك جيل من سكان المكسيك نزلوا تلك البطاح منذ قرون كثيرة . وكان ملك المكسيك قد دوَّخ بلادهم منذ عهد قريب وضرب عليهم الجزية واذاقهم انواع الذل وبلغ اميرهم ان الاسبانيين جاءوا البلاد وهم لا يهابون سطوة ملكها فبعث بهؤلاء الرجال اليهم يدعوهم الى عاصمتهِ

فاصغى كورتس الى هذا الكلام مسروراً واتَّضح لهُ حينئذٍ ان البلاد ليست على ما توهم من الاتحاد والائتلاف بل فيها احزاب وضغائن كامنة في الصدور وانهُ ليس بمستبعد ان يستعين ببعضهم على البعض الآخر فيقوّض اركان ملكهم ولذلك اكرم هؤلاء الوفود وصرفهم بالهدايا الكثيرة ووعدهم بان يزور اميرهم في عاصمتهِ قريباً

وكان جنودهُ وبعض قوّادهم قد ملُّوا الاقامة وودُّوا الرجوع الى بلادهم . والمخلصون منهم لوالي كوبا تذمَّروا من ان كورتس تعدَّى الاوامر المعطاة لهُ من الوالي وجرى على مقتضى هواهُ . الاَّ ان الباقين قالوا اننا اذا رجعنا الى كوبا خسرنا كل شيءٍ نعم ان كورتس فعل ما فعل غير ملتفت الى اوامر الوالي ولكن ما فعلهُ انما فعلهُ باسم الملك[1] غير طامع بالربح ولا مغضٍ عن كرامة مولاهُ

واخيراً جاءهُ انصار الوالي وكاشفوهُ بما يضمرون وطلبوا منهُ ان يعود بهم وبالجنود الى كوبا. فقابلهم بالبشاشة والوداعة على غير ما انتظروا وقال لهم اني افضّل البقاء هنا لاتمام العمل الذي ابتدأْنا فيهِ لان ربحنا من معاملة السكان قد ابتدأَ الآن ولكن اذا كان الجنود مصرّين على العودة فانا انقاد اليهم وافضل رأْيهم على رأْيي وآمرُ بعودتهم حالاً . ثم امر ان يكون الجنود

(١) الكلمة الاصلية تدلُّ على المملكين بصيغة الجمع الدالة على المثنى ايضاً وعلى المذكر والمؤنث معاً. فان الملكة ايزابلاَّ ملكة اسبانيا توفيت سنة ١٥٠٤ فانتقل ملك اسبانيا الى ابنتها لكنها كانت مصابة بدخل في عقلها فنودي بها ملكة وبقي زمام الملك في يد ابيها الملك فرديناند الى ان توفي في ٢٣ يناير سنة ١٥١٦ فانتقل الى حفيدهِ تشارلس الخامس امبراطور المانيا ولذلك فاذا قيل المملكون هنا فالاشارة اليهِ والى امهِ واذا قيل الامبراطور فالاشارة اليهِ وكان كورتس يستعمل هذه الكلمة احياناً بمعنى ملك الملوك تعظيماً لهُ لدى اهالي المكسيك الذين كانوا يحسبون ملكهم "ملك الملوك" . وقد اخترنا كلمة ملك لانها تفي بالمراد وهي اخصر في اللفظ

مستعدين للسفر والعودة الى كوبا . فلم يكد امرهُ ينتشر في المعسكر حتى خمدت ثورة الذين كانوا قائمين عليهِ وعدل بعضهم عن رأيهم . وهذا شأن الناس امنع عنهم ما يطلبون فيزيدوا طلبًا ولجاجةً اجبْ طلبهم حالاً فلا يبقى لهُ شأن عندهم . اما انصارهُ فاتخذوا ذلك مندوحة للتذمُّر والشكوى او للتظاهر بهما وجعلوا يقولون انهُ نكث عهدهُ وخان وطنهُ وتألبوا حول خيمتهِ طالبين ان يلغي امرهُ وقالوا لهُ اننا اتينا الى هنا لكي نمتلك البلاد ونستوطنها فان لم يكن معك امر من والي كوبا لتفعل ذلك فافعلهُ باسم الملك فاننا نحن اكتشفنا هذه البلاد ولم نكتشفها باسم والي كوبا بل باسم الملك وباسمهِ نسكنها ونعمّرها ولذلك نطلب منك ان تسرع حالاً في بناء مدينة لنا ولا تُضع الوقت في المعاملة والمتاجرة واما الرجوع الى كوبا فلا نسلّم بهِ ابدًا واذا ابيتَ ان تجيبنا الى طلبنا شكوناك الى الملك

فتظاهر بالحيرة كانهُ لم يكن منتظرًا هذه المجاهرة وهذا العتوّ لكنهُ لم يبدِ الغيظ بل قال ان الامر كذلك فاسمحوا لي حتى اتبصَّر فيهِ وغدًا اجيبكم .وجمع الجنود في اليوم التالي وخطب فيهم خطبة وجيزة قال فيها انهُ ما من احد اشد منهُ طاعةً لملكهِ وارغب منهُ في اعلاء اسم اسبانيا بين الممالك فانهُ انفق كل ما يملكهُ في هذا السبيل واستدان الاموال الطائلة لكي يقوم بنفقات هذه الحملة وكان يرجو ان يستردّ بعض ما انفقهُ من معاملة المكسيكيين ولكن ان كان الجنود مصرين على انشاء مستعمرة فهو يضحي مصلحتهُ لاجل مصلحتهم فينشئ مستعمرة باسم الملك ويعين لها واليًا وقاضيًا

ثم امر باقامة المدينة في مكان اكتشفوا فيهِ مرفأً امينًا للسفن وعيَّن لها واليًا رجلاً من خواصهِ ونائبًا لهُ رجلاً من انصار والي كوبا حتى يجمع بين الحزبين وعيَّن باقي الموظفين من خواصهِ فحلفوا يمين الطاعة للملك وسميت المدينة ڤرا كروس واجتمع الوالي ونائبهُ والقضاة وباقي الموظفين فدخل عليهم حاسرًا وقال لهم لقد انقضت الآن المهمَّة التي اتيت بها لان سلطة والي كوبا زالت امام سلطة والي المدينة الجديدة فصرت كاحد رعاياكم ولكم ان تامروني بما تشاؤون. قال ذلك وحنى لهم رأسهُ علامة الخضوع والاكرام وخرج من المجلس . فتذاكروا في الامر هنيهة ثم استدعوهُ اليهم وقالوا لهُ رأينا بعد التبصُّر وامعان النظر ان ليس عندنا من هو اقدر منك على قيادة هؤلاء الجنود والاهتمام بمصالح هذه المستعمرة في السلْم والحرب ولذلك فباسم الملك نقيمك قائدًا عامًّا لهذه المستعمرة وقاضيًا لها . وسمحوا لهُ بخُمْس ما يكسبونهُ من الذهب والفضة غنيمةً كان او تجارةً . فاعطي اعظم سلطة مدنيَّة وحربيَّة

وجرت هذه الامور على غاية السرعة حتى ذُهل انصار الوالي فلم يجدوا فرصةً للاعتراض

والمقاومة ولكن لما جُعل كورتس قائداً عاماً من قبَل الملك وزالت كل سلطة للوالي ثار انصار الوالي وقالوا ان في الامر دسيسة واكثروا من الصياح والاعتراض وانشقَّ الجنود بعضهم على بعض وكادت الفتنة تستفحل فبادر كورتس اليهم وقبض على زعمائهم وكبَّلهم بالحديد وبعث بهم الى السفن وارسل فرقة من الجند لتطوف في البلاد المجاورة وتأتي منها بما تجده من الطعام واستمال الباقين بالعطايا والمواعيد . وعاد الجنود الذين ارسلهم ليمتاروا ومعهم كثير من الاثمار والبقول والطيور فلما امتلأَت البطون سكنت ثورة الغضب وزال التذمُّر وعانق الجنود بعضهم بعضاً مسرورين متهللين حتى الزعماء الذين كبَّلهم بالحديد طابت نفوسهم لما امتلأَت بطونهم فثابوا الى السكينة وطلبوا ان يصالحوا كورتس فصالحهم وصافحهم وانقضت الفتنة على سلام وصاروا كلهم من اعز انصارهِ

ولا يسع المرءَ الاَّ الاعجاب بما ابداهُ هذا الرجل حتى الآن من السياسة والدهاء وحسن النظر في العواقب فانهُ نقل السلطة من والي كوبا خصمهِ العنيد الى ملك اسبانيا ولم يكن هو الناقل لها بل رجال جيشهِ حتى لا يُتَّهم بعصيان رئيسهِ وداري خصومهُ وغلبهم بالمعروف وضربهم بيد واستلفتهم بالاخرى حتى انضموا الى حزبهِ وصاروا من انصارهِ وحوَّل غرض هذه الحملة من المتاجرة بالبضائع الى فتح البلدان واستعمارها

ولما زالت الفتنة وسادت السكينة سار برجالهِ وسفنهِ الى المكان الذي عزم على انشاء المدينة فيهِ وكانت البلاد التي مرَّ فيها كثيرة الخصب سهولها فيحاء وآكامها مكتسية حللاً سندسية باشجار باسقة وانهار جارية تمرح الظباء في سهولها وتتناغى الاطيار على ادواحها. والتقوا في الطريق باثني عشر رجلاً ارسلهم امير سمبوالا اليهم ادلَّةً ليأْتوا بهم الى عاصمتهِ فلما دنوا منها رأَوا دلائل الخصب والرفاهة رأَوا الحدائق الغناء والسهول الفيحاء مبسوطة على مدى النظر ثم رأَوا جماهير السكان رجالاً ونساء خرجوا لاستقبالهم ومعهم الازهار والرياحين طاقات واكاليل فقدموها لكورتس ورجالهِ وكلَّلوا رؤُوسهم بها وكان فيهم كثيرات من النساء الشريفات بابهى الحلى وافخر الحلل يتهادين بين جواريهنَّ وعليهنَّ دلائل الرفاهة والنعيم وهنَّ ورجالهنَّ بالعقود والاقراط والخزم وكلها من الذهب الابريز

وسار كورتس ورجالهُ على هذا النمط الى ان وصلوا الى المدينة فوجدوا فيها المباني الفخيمة من الحجر والشيد وخرج الامير لاستقبالهم وهو طويل بدين الجسم فرحَّب بهم واعطاهم هيكلاً مجاوراً لقصرهِ لينزلوا فيهِ وبعث اليهم بكل ما يحتاجون اليهِ من الخبز واللحم والفاكهة واهدى الى كورتس كثيراً من الحلى الذهبية والثياب القطنية . اما كورتس فلم يجانب الحذر ولو رأَى

من الاهالي كل تودُّد وترحيب بل اقام الحرَّاس حول جنوده ونصب مدافعهُ وسدَّدها على مدخل الهيكل حتى لا يفاجئهُ احد بمكروه وهذا كان شانهُ دائماً حتى وقت السير من مكان الى آخر كان يسير كأنهُ ذاهب الى القتال

وقام في الصباح وسار بخمسين من رجالهِ الى قصر الامير وكان مبنيًّا على اكمة يوصل اليها بسلم كبيرة من الحجر وترك رجالهُ في دار القصر ودخل ومعهُ رجل واحد ومارينا تترجم لهُ واخبر الامير انهُ آتٍ من قبَل ملك عظيم الشان لكي ينسخ العبادة الوثنية من تلك البلاد ويعلّم الناس عبادة الاله الحقيقي . فاجابهُ الامير ان الهتهم تهبهم النور والمطر وهي اصلح لهم من غيرها وانهُ هو خاضع لملك عظيم الشان عاصمتهُ بعيدة عنهم في بحيرة بين الجبال واذا عصوهُ انتقم منهم واخذ فتيانهم وفتياتهم وقرَّبهم ضحايا لآلهتهِ . فقال لهُ كورتس ان مولاهُ ارسلهُ ليقتصَّ من هذا الملك الظالم ويرفع ظلمهُ عن رعيتهِ وانهُ اذا حالفهُ التوتونك رفع عنهم نير الازتك. فقال الامير ان في بلاد التوتونك ثلاثين مدينة يخرج منها نحو مئة الف مقاتل وبينها وبين بلاد الازتك جمهورية تلسكالا المستقلَّة وانهُ بلغهُ ما فعلهُ الاسبانيون في تبسكا ولكنهُ لا يزال خائفاً من الخروج على الملك منتزوما العظيم لان جنودهُ تنحدر من الجبال كالسيل الجارف فلا تبقي ولا تذر فتأخذهم كلهم اسارى وتقربهم ضحايا

فقال لهُ كورتس ان الاسبانيين لا يخشون بأس الازتك وملكهم وان كل واحد منهم يقام جيش من اولئك البرابرة . ثم حاول ان يعرف منهُ ما هي الامم الناقمة على ملك الازتك لكي يعرف عدوَّهُ من صديقهُ ومن يقتُل ومَن يستحيي. وبمثل هذا الكلام حاول بث الثقة في نفس الامير وودَّعهُ واعداً اياهُ بالعودة ثانيةً للنظر في هذه المهام

وثبت لكورتس حينئذٍ ان في بلاد المكسيك اممًا كثيرة خاضعة لملكها رغماً عنها وانها لا تانف من شق عصا الطاعة والانضواء تحت لوائهِ اذا اعلن الحرب على ملك المكسيك . وكاشف رجالهُ بما كان يدور في نفسهِ فوافقوهُ على رأيهِ وخُيل لهم ان اعلام اسبانيا صارت تخفق فوق ابراج تلك البلاد

وودَّع كورتس امير سمبوالا في اليوم التالي وسار الى المكان الذي وجدت فيهِ سفنهُ مرفأً امينًا لكي يبني فيهِ مدينة وبعث معهُ الامير اربع مئة حمَّال وهم ينوبون عن دواب الحمل في بلاد المكسيك فحملوا امتعتهُ وامتعة رجالهِ ومرُّوا في بلاد كثيرة الخصب الى ان بلغوا مدينة حصينة مبنيَّة على شاهق وكان امير سمبوالا قد تبعهم في محفَّة يحملها رجالهُ فقابلهم رجال هذه المدينة بالترحاب وحققوا لكورتس ما سمعهُ من امير سمبوالا وبينما هم يتذاكرون اضطرب القوم

وماجوا ثم دخل الساحة حيث كانوا مجتمعين خمسةُ رجال بثياب فاخرة وشعور لامعة يتبعهم كثير من الخدم والحشم بعضهم يحمل الاسواط وبعضهم المراوح يروّحون بها لاسيادهم . دخلوا الساحة ومرُّوا فيها وهم ينظرون الى الاسبانيين شزرًا ولما رآهم شيوخ التوتونك نهضوا لاستقبالهم وساروا وراءهم كأَنهم من خدمهم

فبهت كورتس من ذلك وسأَل مارينا عن امر هؤُلاء الرجال فقالت لهُ هؤُلاء من اشراف الازتك اتوا ليجمعوا الجزية لمنتزوما . ثم عاد الشيوخ كاسفي البال وقالوا لكورتس ان هؤُلاء الرجال اغتاظوا منا لاننا رحَّبنا بالاسبانيين من غير ان نستأْذن الملك في ذلك وطلبوا منا فداءً عشرين فتًى وعشرين فتاةً ليقدموهم ذبائح لآلهتهم . فاظهر كورتس مزيد الغيظ وقال للشيوخ لا تعطوهم شيئًا بل اقبضوا عليهم وكبّلوهم بالاغلال وانا المسؤُول عن كل ما تفعلون . فتردَّد الشيوخ خوفًا لكنهُ ما زال يحمسهم حتى قبضوا على هؤُلاء الرجال وقيَّدوهم ولما خيَّم الليل بعث وفك قيود اثنين منهم واتى بهما اليهِ سرًّا وقال لهما انهُ آسف على ما فعل شيوخ التوتونك وانهُ يسهّل لهما سبل النجاة ويسعى من الغد في تخليص رفاقهما . وطلب منهما ان يخبرا الملك بذلك ويقولا لهُ ان الاسبانيين من اخاص الناس لهُ ولو عاملهم معاملة لا تليق بما هو مشهور عن كرمهِ لانهُ تركهم يموتون جوعًا في بلاد قاحلة. ثم بعث بهما الى المرفإِ وامر ان تأْخذهما سفينة من سفنهِ الى مكان آخر وينزلا فيهِ لكي لا يدري التوتونك بهما. ورأَى شيوخ التوتونك في الصباح ان اثنين من رجال الازتك فرَّا فاغتاظا غيظًا شديدًا وعزما على قتل الثلاثة الباقين وتقديمهم ضحية فقال كورتس اني لا اسمح بقتل احد ضحيَّة وانا اضعهم في سفني حيث لا يستطيعون الهرب. فانزلهم الى السفن وارسلهم الى مكان آخر واطلق سبيلهم بعد ان اقنعهم ان ما جرى لهم كان على غير رضاهُ . ولا ندري اين وضع شهامتهُ حينما فعل ذلك

وانتشر الرسل في كل بلاد التوتونك يخبرون الاهالي بما جرى لرجال منتزوما ويطلبون منهم ان لايدفعوا جزية بعد الآن وكان خدَم رجال منتزوما قد هربوا وانتشروا في طول البلاد وعرضها يخبرون بما جرى لاسيادهم فهبَّ رجال التوتونك حاسبين انهم سيستردون استقلالهم القديم واجتمع رؤَساؤُهم معًا فاشار العقلاءُ منهم بان يرسلوا وفدًا الى منتزوما يستعطفونهُ ويعتذرون اليهِ عمَّا جرى لرجالهِ لكن الجمهور كان مخالفًا لرأْيهم وواثقًا ان الاسبانيين يأخذون بيدهم ليطرحوا عنهم نير الازتك . وبعد جدال طويل قرَّ رأْيهم على قبول حماية الاسبانيين والمجاهرة بالاستقلال فخالفوا كورتس مخالفة هجوم ودفاع

وقام كورتس بعد ذلك الى المرفإِ وشرع في بناء المدينة وساعدهُ الاهالي فجلبوا لهُ الحجارة

والجير (الكلس) والخشب والطوب ولم تمضِ ايام كثيرة حتى تم بناؤُها وقد سُرَّ الاهالي حاسبين ان كوتزلكوتل رسول المكسيك عاد اليهم حسب وعدهِ لينشر السلام في بلادهم ويغدق عليهم الخيرات. وهم لا يدرون انهم كانوا كالباحث عن حتفهِ بظلفهِ . ساعدهم الاسبانيون على كسر شوكة ملوك الازتك لكنهم خربوا بلادهم وقرضوهم عن وجه البسيطة كما سيجيء

ولم يكد كورتس يتم بناء المدينة حتى جاءَهُ رُسُل من قبَل منتزوما ملك المكسيك وذلك انهُ لما قبض شيوخ التوتونك على رجالهِ كما تقدَّم اسرع بعض خدمهم الى العاصمة وقصُّوا على الملك ماجرى لاسيادهم فاستشاط غيظاً وامر حالاً باخذ الاهبة للاقتصاص من التوتونك ومن الاسبانيين ولم يكن الاَّ قليل حتى عاد رجالهُ واخبروهُ ان الاسبانيين هم الذين نجوهم من ايدي التوتونك فزال ما خامر نفسهُ من الغيظ وعادت اوهامهُ اليهِ حاسباً ان الاسبانيين من نسل رسولهم كوتزلكوتل فبعث بهؤُلاء الرسل الى كورتس وفيهم فتيان من اولاد اخوتهِ واربعة من اعظم رجال بلاطهِ وبعث معهم هدية فاخرة من الذهب والحلل المنسوجة بالريش ولما مثل الرسل امام كورتس ابلغوهُ تحية الملك وشكرهُ لهُ على انقاذ رجالهِ واكرامهم ثم قالوا ان جلالتهُ عاتب عليك جدًّا لانك رأَيت نار العصيان تنتشر في البلاد ولم تبذل جهدك في اخمادها. ولكن اكراماً لك سيصبر على العصاة ولا ينتقم منهم ما دامت في البلاد

فرحَّب كورتس بالرسل وبالغ في اظهار قوتهِ امامهم لكي يلقي الرعب في نفوسهم ثم صرفهم بقليل من الهدايا وبعث معهم رسالة الى الملك يقول فيها انهُ عازم على زيارتهِ في بلاطهِ لجلاء ما خامر نفسهُ من الظنون

ولما علم التوتونك بما قالهُ الرسل لكورتس زادت هيبتهُ في نفوسهم لانهم قالوا ان سلطتهُ تفوق التصوُّر حتى يخافها منتزوما العظيم على هذا البعد الشاسع

وبعد قليل طلب امير سمبوالا من كورتس ان يعينهُ على محاربة احدى المدن المجاورة فاسرع الى نصرتهِ واصلح بين المدينتين وعاد الى سمبوالا ودخلها ظافراً فقدَّم لهُ اميرها ثمانياً من بنات عظمائها ليكنَّ زوجات لقوادهِ وكان معهنَّ كثيرات من الجواري لخدمتهنَّ فسرَّ كورتس بذلك وطلب ان يتنصَّرن اولاً ثم طلب من الامير ان يطرح اصنامهُ ويعتنق الديانة المسيحيَّة فقال لهُ ان الهتنا كافية لنا ولا نريد ان نبدلها بغيرها . وكان رجال كورتس قد رأَوا اولئك الناس يضحون الضحايا البشرية ويأْكلون لحمها فبلغ منهم الاشمئزاز كل مبلغ وقالوا لا بدَّ لنا من صرفهم عن هذه العبادة القبيحة فلم ينتظروا امرهُ بل هجموا على الهيكل الاكبر وصعدوا على سلمهِ لكي يطرحوا الاصنام منهُ فثارت النخوة في رأْس الامير ورجالهِ فهبُّوا الى سلاحهم وانبثَّ

الكهنة بين الشعب يحمسونهم للدفاع عن دينهم وآلهتهم . فامر كورتس رجالهُ ان يقبضوا على الامير والكهنة واعيان المدينة وقال لهم ان رمى احد من رجالكم سهماً واحداً على رجالي ضربت اعناقكم . واتت مارينا الى الامير تحثهُ على طاعة كورتس وقالت لهُ ان انتم اغضبتموهُ فقد خسرتم حمايتهُ بعد ان اغظتم ملك الازتك ووقعتم بين نارين . فغطى الامير وجههُ بيديهِ وقال اذاً الهتنا تنتقم لنفسها مما يفعلهُ بها هؤلاء الاسبانيون . ولما رأى كورتس منهُ ذلك امر رجالهُ ان يطرحوا الاصنام من الهيكل الاكبر فصعدوا اليهِ واخرجوها منهُ وكانت من الخشب ودحرجوها على سلمهِ والاهالي وقوف يتأوَّهون ويتحسرون ثم حرقها الاسبانيون امامهم فدهشوا لما رأوها تحرق وهي لا تدافع عن نفسها وانحطَّ شأنها في عيونهم فثابوا الى السكينة

ثم ان الاسبانيين طهَّروا الهيكل ووضعوا فيهِ مذبحاً واقاموا الخدمة الدينية باحتفال عظيم وشاركهم بعض الكهنة في هذا الاحتفال . وسرَّ كورتس بما فعل حاسباً انهُ نصَّر الاهالي وقام بالغرض الاسمى الذي جاء لاجلهِ . ثم عاد الى المدينة التي بناها فوجد ان قد جاءتها سفينة صغيرة فيها اثنا عشر بحرياً وفرسان فضمَّ رجالها الى رجالهِ وعرف منهم انهُ جاء والي كوبا امر من اسبانيا لينشئ مستعمرةً في البلاد التي كُشفت حديثاً . فرأى ان لا بدَّ لهُ من ان يرسل الى اسبانيا يخبر الملك عن البلاد التي اكتشفها واتساعها وغناها ويسترضيهِ لكي يعطيهُ ولايتها والاَّ بقيت لوالي كوبا وذهب تعبهُ سدًى واضطرَّ ان يخضع لخصم عنيد . ورأى ان خُمس ما وصل الى يدهِ من الغنائم والهدايا لا يكفي لاسترضاء الملك واقناعهِ بغنى البلاد الوافر وعظم الخدمة التي خدمهُ بها فتذاكر مع القواد في هذا الشان وقرَّ قرارهم على ارسال كل ما وصل الى يدهم منها . والقواد اخبروا الجنود واقنعوهم ان الهدية تسترضي الملك فيعفو عمَّا مضى ويبيح لهم ان يمتلكوا البلاد باسمهِ ويغنموا منها ما شاؤُوا فاقتفوا كلهم خطوات رئيسهم واعطوا كل ما وصل الى اياديهم من الغنائم والهدايا فبعث بها كورتس الى ملك اسبانيا وبعث معها كتاباً شرح فيهِ ما عملهُ حتى الآن وما ينتظر عملهُ ومناصبة والي كوبا لهُ وطلب من الملك ان يؤيدهُ ويقرَّهُ على ولاية البلاد التي اكتشفها لكي تزيد ثقة رجاله بهِ ويقوى على فتح البلاد كلها وامتلاكها باسم الملك . وشفع حكَّام المدينة كتاب كورتس بكتاب آخر كتبوهُ وايَّدوا فيهِ كل ما ذكرهُ واطنبوا في مدح شجاعتهِ وتفانيهِ في خدمة مولاهُ وطلبوا من حكومة اسبانيا ان تؤيد ما فعلهُ ولا تصغي الى شيءٍ مما يقولهُ والي كوبا . وكذلك كتب اهالي المدينة وعامَّة الجند كتاباً ايدوا فيهِ طلب كورتس معربين عن خضوعهم التام للملك

وارسل كورتس الهدية في احسن سفنهِ وائتمن عليها اثنين من خواصهِ وبعث معهما

اربعة من العبيد انقذهم من القتل وكان في السفينة ١٥ بحارًا فسارت تشق عباب المحيط حتى وصلت الى كوبا فرست فيها على ضدِّ ما امرها كورتس وبلغ خبرها الوالي فاخذ يهيل الشتائم واللعنات على كاتبهِ وامين خزينتهِ اللذين اقنعاهُ بارسال كورتس في هذه الحملة حتى اذا افرغ بعض ما في قلبهِ من الحقد امر ان تذهب سفينتان للقبض على سفينة كورتس لكن السفينة اقلعت قبل وصولها اليها وابعدت عنهما فلم تستطيعا لحاقها فزاد غيظ الوالي وكتب الى اسبانيا يستنجد انصارهُ لمقاومة كورتس وجهَّز عمارة اخرى ليرسلها الى بلاد المكسيك حتى توقع بهِ

اما سفينة كورتس فوصلت الى اسبانيا وكان للاخبار التي اذاعتها تأثير في النفوس لا يقل عن التأثير الذي حدث لما عاد كولمبس من كشف اميركا لكن الملك كان على اهبة السفر من اسبانيا الى المانيا حيث انتخب امبراطورًا فلم يسعهُ الوقت للنظر في امر كورتس

وكان في مدينة فِرا كرُس اناس لم ترضهم افعال كورتس فتآمروا على اخذ سفينة من السفن والهرب بها والعودة الى كوبا واعدوا كل ما يلزم لهم سرًّا ولما حانت الليلة الموعودة للهرب افشى واحد منهم سرَّهم لكورتس فقبض عليهم وحاكمهم وحكم على اثنين منهم بالقتل وعلى واحد بقطع رجليهِ ورأى من ذلك الحين انهُ ما دامت السفن في المرفإ لم يأمن من خروج بعض رجالهِ عليهِ والهرب بها فادَّعى ان السوس نخر بعضها ولم يعد يصلح لشيءٍ فامر باغراقهِ ثم احتال على اغراق البعض الآخر ولم يبقِ منها الاَّ سفينة واحدة حتى لا يبقى لرجالهِ امل بالعودة من تلك البلاد وكان قد خرج بالجنود الى مدينة سمبوالا فلما بلغهم ما حلَّ بالسفن طارت نفوسهم وعلت جلبتهم وكادوا يجاهرون بالعصيان ويفتكون بهِ اما هو فلم يرعهُ امرهم بل جمعهم وخاطبهم قائلاً اننا اغرقنا السفن لان السوس في هذه البلاد قد نخرها فلم تعد تصلح لشيءٍ وان حق لاحد ان يشكو من ذلك فانا احق منكم بالشكوى لان السفن لي والخسارة عليَّ اما انتم فقد ربحتم من اغراقها لان بحارتها ينضمون اليكم ويساعدونكم ولم تخسروا شيئًا لانها لم تكن صالحة لنقلكم من هذه البلاد فحوّلوا نظركم الآن الى الفوز الذي وُعدنا بهِ اما من جهتي فانا عازم ان ابقى هنا مادام معي واحد منكم وان كان بينكم من هو جبان يخشى اقتحام المخاطر فقد بقيت من السفن سفينة وهي اصلح السفن كلها للسفر فليعُد بها الى كوبا ويخبر اهلها انهُ ترك قائدهُ واخوانهُ لكي يعودوا وحدهم من بلاد الازتك بالاسلاب والغنائم

فحرَّك هذا الكلام نخوتهم ورغبتهم في بلاد المكسيك وكأنهُ رسم امام عيونهم خزائن مشحونة بالذهب تنتظر وصولهم اليها فخجلوا ممَّا فرط منهم وصرخوا كلهم المكسيك المكسيك

الصحيح من الفراسة

امارات الالم والخوف

للالم امارات كما للسرور بعضها ظاهر مشهور كالتنهُّد والبكاء والنحيب والتمطي والتثاؤب والارتعاد والاصفرار والاحمرار والحصَر (فقد النطق) وبعضها غير ظاهر او غير مشهور كالقيء والاسهال وانقطاع اللعاب وتصبُّب العرَق والتغالي في الكرم والتفاني في البغض وطلاقة اللسان وتقطُّع الكلام وما اشبه . وقلما تظهر امارة من هذه الامارات وحدها بل يظهر بعضها مع بعض حسب شدَّة الالم واختلاف انواعه وحالة المتألِّم . وهي اما امارات انفعال او امارات فالج او امارات شعور احدثهُ الألم او حدث عنهُ . والاولى اي امارات الانفعال اكثر من غيرها وهي تحدث عند كل الم طفيف او ابتداء بالالم فان المجاري العصبيَّة الداخلية الناتجة عمَّا يسبّب الالم تجري على اعصاب كثيرة فتحرّك العضلات المتصلة بها حركات مختلفة تظهر بانقباض الوجه وارتجاف الاعضاء وانتصاب الشعر والتنهُّد والتأَوُّه والبكاء والتهديد والوعيد. ولهذه الحركات غرضان الاول تخليص المراكز العصبيَّة من التهييج العصبي الذي زاد عليها فاتعبها والثاني دفع ما كان سبباً للالم

والثانية اي امارات الفالج يراد بها امارات الدهشة التي تعتري الانسان من الالم الشديد المفاجيء حتى يغمى عليهِ من شدة الالم وقد يفلَج او تزهق روحهُ منهُ لكنها لا تبلغ هذا الحد الاَّ نادراً والغالب ان الدهشة تقتصر على صفرة الوجه وجفاف اللعاب

والثالثة اي امارات الشعور الذي احدثهُ الالم او حدث الالم عنهُ كثيرة تختلف باختلاف دقة المشاعر ودرجات تأَثُّرها فان السبب الواحد من اسباب الالم لا يؤَثر في الناس كلهم على حدٍّ سوى ولكن اثرهُ يظهر على اسلوب واحد غالباً حتى لا يتعذَّر عليك ان تعرف ما اذا كان مصدر الم المتألم وجعاً في ضرسهِ او ضيقاً في حذائهِ او غيظاً من عقوق ابنهِ او من تحامل الناس عليهِ

ويظهر الألم غالباً بانقباض عضلات الوجه ثم عضلات العنق ثم عضلات الجزع ثم عضلات اليدين ثم عضلات الرجلين . ففي الوجه ينقبض الجفنان العلويان وتنخفض الشفة السفلى ويقطب الجبين وتنخفض زاويتا الفم او ينطبق انطباقاً شديداً وتنقبض راحتا اليد . الى هنا تكون الامارات امارات الترفُّع والتجمُّل والجلَد ثم اذا زاد الألم عن الاحتمال زالت هذه وعقبتها امارات الخوف والاضطراب فينخفض الفك الاسفل وترتعد عضلات اليدين والرجلين

ثم عضلات الوجه والعنق والصدر والبطن وتتشنج حتى اذا زاد الأَلم نفدت القوة العصبية المحركة للعضلات فانبسطت وانفلجت وتعذَّر على المرء طبق فيهِ او تحريك قدميهِ او البقاء منتصبًا وهذه الحركات في العضلات تؤَثر في التنفُّس تأثيرًا شديدًا فيضطر المرء الى التنهُّد الشديد المتقطع ويظهر فعلها على اشده بالبكاء وتشترك العضلات التي تفرز الدمع مع العضلات التي تسبب البكاء فيزيد الدمع على ما ينفذ منهُ الموقين الى الانف فينصب على الوجنتين وقد تحمرُّ الوجنتان ولا سيما في الصغار ولكن الغالب ان تصفرَّا من الخوف الشديد ولذلك يقال حمرة الخجل وصفرة الوجل

وامارات الأَلم الناتج عن الحزن تختلف غالبًا في الرجال عمَّا هي في النساء فالمرأَة تدهش وتبكي والرجل يغضب ويخاصم . المرأَة تنكسر وتلجا الى الدمع والرجل يطبق كفيهِ ويتهدَّد بهما او يرفعهما الى السماء كانهُ يقصد مخاصمة الله . المرأَة تصلي وتتضرَّع والرجل يجدّف ويتهدَّد ويكثر هطول الدمع في الصغار ثم يقلُّ رويدًا رويدًا بتقدُّمهم في السن حتى لقد يبكي الشاب ولا تدمع عيناهُ ويقل البكاء في الشبيبة والكهولة ثم يعود في الشيخوخة والغالب ان دموع الكهل تفيض من عينيهِ من غير ان يبكي كأَنهُ يلجم نفسهُ عن البكاء عنوةً

والالم العقلي يؤَثر في الوجه تأثير الالم البدني وتظهر اماراتهُ فيهِ كما تظهر امارات الالم البدني فاذا رأَى المرء منظرًا قبيحًا او نورًا باهرًا او الوانًا غير منتسقة اغمض عينيهِ وانقبضت العضلات التي حولها كان رؤْية ما رأَى تؤْلمهُ فيغمض عينيهِ لكي لا يراهُ ويحدث مثل ذلك اذا سمع قصَّة تدلُّ على جهل فاضح فانهُ اما ان يغمض عينيهِ ويظهر الاشمئزاز او يغرب في الضحك . فالالم النظري كالالم العقلي يظهر في العين لانها مظهر الصور العقلية

وكما تتأَلم العين من رؤْية المناظر القبيحة تتأَلم الاذن من سماع الاصوات الحادَّة كصرير الابواب وصريف الانياب . وامارات هذا الالم في الجسم كلهِ مثل امارات الالم من الشعور الداخلي لان اذن الانسان لا تتحرَّك حتى تدلَّ على الالم . ويظهر الم المشاعر على اشده اذا تألَّم الانف من رائحة كريهة فيُسَدُّ منخراهُ اولاً منعًا لدخول الرائحة وترتفع الشفة السفلى وكأَنَّ عضلات الوجه كلها تحاول دفع الرائحة القبيحة من دخول الانف كما نفعل اذا احتقرنا شيئًا او انفنا منهُ . وقد اشتقَّت الأَنفة من الانف في العربية والشمم من الشم لما يظهر من العلاقة بين هاتين الصفتين وبين الانف والشم . كذلك اذا اهنتَ رجلاً او نسبتَ اليهِ امرًا يعدُّهُ دون قدرهِ اظهر الاشمئزاز بحركة معلومة في فيهِ وشفتيهِ كما يفعل لو ذاق طعامًا مرًّا او كريه الطعم . وكلمة اشمئزاز في العربية تطلق على كراهة الكلام المكروه والطعم المكروه والنفور منهما كليهما

وينعل الخوف بالاعصاب فعل الالم تماماً لان الخائف يخشى على حياتهِ فيتألم ولذلك يصفرُّ ويبرد جلدهُ وينعقد لسانهُ ويخفق فؤادهُ وينتصب شعرهُ واذا زاد خوفهُ فصار رعباً اتسع منخراهُ وجحظت عيناهُ محدقتين بما سبَّب الخوف وقد تلتفتان من جهة الى اخرى على غير هدًى وانقبضت عضلات وجههِ وارتعد بدنهُ كلهُ ثم تنفلج عضلاتهُ فيقف كالصنم ولا تعود عواصر امعائهِ قادرة على ضبط ما فيها

وغنيٌّ عن البيان انهُ اذا ظهرت امارات الالم في الوجه وتكرَّرت يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى سواءٌ كان الالم عقلياً او جسدياً بقيت آثارها فيهِ غضوناً وارتفاعات وكذلك تبقى الآثار في الجسم كلهِ فيصفر ويشحب فيمتاز وجه الحزين والمتألِّم والمحتقر لغيرهِ عن وجه المسرور المرتقي الذي لا يزدري الناس لكن هذه الآثار قد لا تبقى في الجسم وقد تعرض له لاسباب اخرى فلا تكون دلالتها صحيحة دائماً

ائتلاف الشعوب

تحدث للامم بواعث فتأتلف ويدعوها تباين المصالح والمقاصد فتختلف كما يتنافر شقيقان صنوان ويتضافر عدوّان لدودان "ويستصحب الانسان من لا يلائمهُ". ولو ساد السلام قرناً من الدهر بين البشر لضاقت عليهم الارض بما رحبت "ولولا الوئام لهلك الأنام"

ولقد عجب القوم لما جرى من الاتحاد الثنائي في الشهر الماضي بين دولة انكلترا المسيحية ودولة اليابان الوثنية فرأيت ان اعرّب بهذه المناسبة ما نشرهُ احد مشاهير العمرانيين بداعي ما هو جارٍ بين الروس والفرنسيس من حسن الصلات من رسالة نافعة في مجلة "العلم الاجتماعي" البارسية تفلسف في تقارب الشعوب وتباعدهم فلسفة استند فيها الى التجارب والحوادث فحصر اسبابها في ثلاثة قال ما ترجمتهُ بتصرف :

الاول — الحاجة الى مقاومة عدوّ عام قلما يثور خصام او صدام بين ثلاثة اشخاص اذ لا يكون الخصوم في كل المعارك الاَّ فريقين . فقد يُبغض زيد عمراً وبكراً ويبغض عمرو زيداً وبكراً ويبغض بكر عمراً وزيداً ولكن اذا حدث حادث بين هؤلاء الثلاثة يتألب اثنان منهما على الآخر . والاتحاد في العادة يكون بين ضعيفين على قوي . وقد يتفق القويان ليكونا يداً واحدة على الضعيف ويا من غائلة التعادي بينهما من اجل تقسيم اسلابهِ والاستئثار بحقوقهِ على نحو ما جرى عام ١٨٦٤ عقيب حرب اعلنتها بروسيا والنمسا على الدانمرك قُبَيل معركة سادوڤا في بوهيميا

وما يصدق على الخصومات بين الافراد يصدق على الغارات بين الامم . ومن خصائص كل دولة ان توطد دعائم الامن في داخل بلادها وخارجها وتحتفظ بحياة الامة اذا اوشكت ان تكون عرضة لتيار مطامع احدى خصيماتها . تعمل الدولة في تلك الحال ما كان يعملهُ أمرؤ بدافع عن حقيقتهِ . فتنادي باللثارات وباللنجدات وان كانت الممالك لا تتصدع من التهديد تصدع الافراد

يُعطى الحكام في كل أُمة أُجورهم ليتصامُّوا ما داموا لا يسمعون من الاغيار غير صدى المكارم . فلا يجهّزون القوى الحربية التي أُمِروا عليها عند اقل بادرة حتى لا يلقوا الامة جمعاء في أزمَة طويلة الاَّ بعد إيقانهم بانهم يجنون من ورائها ثمرة ما

وتقدر الدولة المستباح حماها ان تطلب معونة جاراتها . وذلك بان تقنع احداهنَّ بان عدوّها هو ايضاً عدوهنَّ حتى اذا حصل هذا الاقناع تتأَلف عصابة لاتقاء ضرر مشترَك . وعلى نسبة تلك المنفرات المتحدة المباديء والغايات يتولد تآلف بين مَن اتفقوا على بغض شعب معيَّن

ولقد احسن الفلاسفة تفسير هذه الحالة فقالوا ان البغضاء نقيض الولاء وان الانسان قد يسرُّ بشيء ما لعلمهِ انهُ مخالف لذوق عدوّهِ . مثال ذلك ان الطليان لما اقتتلوا مع الاحباش منذ بضع سنين وقع شيء من الخصام بين الجالية الطليان والبرازيليين في بلاد برازيل فجعل البرازيليون ينادون "ليحيَ منليك ملك الاحباش" . وكذلك التشك في بوهيميا فانهم يمقتون الالمان كل المقت وان لم يحبوا الفرنسيس . فكلما سنحت فرصة هتفوا "لتحيَ فرنسا"

طفح التاريخ بمعاهدات تقوم دليلاً على صحة هذه الدعوى . فقد تآخى الآثينيون والاسبارطيون في وقعة سلامينة صدًّا لهجمات عدوّهم الفارسي المفاجيء . ثم اخذت اسبارطة تعادي اثينا بعد بضع سنين حسدًا منها فاجتمع الطيبيون من ثم مع اللاسيدومينيين على معاداة اثينا . ولما ظفرت اسبارطة اتحدت اثينا مع الطيبيين

في كل هذه المحالفات تتجلى لك امارات السلطة العامة وان الرأي العام تبعٌ لما يراهُ القابضون على ازمة السياسة . وقد يسبق الرأي العام احياناً فيصير رجال الحكومة تبعاً لهُ فلا يقولون الاَّ قولهُ ولا ينطقون الاَّ بلسانهِ . وقد يعلو الصوت العام من قوة تبعثهُ الى ذلك فترى في الاحايين تقاربًا بين الامم كتقارب اشخاص لم يتعارفوا ولا غرض لهم الاَّ ان حظهم واحد وهم شركاء في الخطر المحدق بهم

جاء في التاريخ الروماني احسن مثال للمحبة التي أُسست على قواعد من شانها التشفي عن بغض مشترَك ألا وهي محالفة رومية ومرسيليا فان كلتيهما كانتا عدوتين للقرطاجنيين . فدام

الاخاء متين العُرى بين هاتين الجمهوريتين بحيث لم تتمكن الكبيرة من ابتلاع الصغيرة الاَّ بانضمام المرسيليين اثناء الحروب المدنية الى حزب القائد پومپينوس

ويحدّث التاريخ ايضاً ان قد دام الاتحاد اعواماً طوالاً بين تركيا وفرنسا خلال الحرب التي نشبت بين المانيا وفرنسا . وفيهِ من العجب ما بلغ حدَّ الغرابة اذ حادت الامتان من أجل هذا التحالف الذي كانت الحال تضطرهما الى ابرامهِ عن التعاليم المقرَّرة وتناستا نفوراً استحكم من نفوس الفريقين باختلاف الدين والاخلاق والجنس

وظهور اعاظم الفاتحين هو على الجملة سبب الاتحاد بين اناس ما كانوا يحلمون بانضمام بعضهم الى بعض فينشأ هذا الاتحاد اذًا لمقاومة الاطماع الكبيرة . مثال ذلك اتحاد المدن اليونانية على الاسكندر ، واتحاد العشائر الانكليزية على قيصر . واتحاد الرومانيين والفرنك والغوط على اتيلا . واتحاد اوربا تقريباً على نابوليون ما خلا الدانمرك وبولونيا فانهما ابتا ان تكونا على هذا الفاتح نكايةً باهل اوربا وتشفياً منهم عما ساموهما من خُطَّةِ خَسْفٍ وقهر

وينتج من هذا القانون المبني على التجارب الصحيحة ان الممالك تتوادُّ على البعد اكثر من توادها على القرب . والمحالفات التي تطول حياتها هي ما عُقد منها بين الممالك المتنائية . وهذا تاريخ فرنسا مثلاً يشهد ان اسكتلندا واسوج وتركيا صدقن فرنسا الوئام مما دل على ان الخصومات أليفة القرابات والقضايا لا تقام الاَّ بين الجيران . ولكن قد تحدث لهؤلاء الجيران قضايا مع جيران لهم ليسوا جيراننا فمن السهل الاتفاق مع هؤلاء . فقد كانت فرنسا واسكتلندا كغصنين في دَوْحَةِ بغضاً بانكلترا وكذلك كانت اسوج وتركيا بغضاً بالنمسا والمانيا

ومما يدور على الالسنة اليوم في اميركا الجنوبية انهُ سيعقد اتحاد بين فنزويلا وجمهورية اكواتور على كولومبيا الفاصلة بينهما وسيبرم اتحاد آخر موقت بين شيلي والبرازيل على جمهورية الارجنتين التي تفصل بينهما ايضاً

ومن اقوى عوامل الاتحاد بين الروس والفرنسيس ان الاملاك الروسية والاملاك الفرنساوية لا تكاد تتجاور مع كثرة انتشارها على سطح البسيطة ، على حين تقرب املاك المانيا من املاك تينك الدولتين فيحدث من جرَّاء ذلك عراك ونزاع ، وهذه القاعدة ليست دائمة الاطراد بل هي تابعة للاضطرابات والتغيُّرات التي يدعو اليها السببان اللذان سنتكلم عليهما بعد

عدوة مملكة ما عدوة لصديقة تلك المملكة وان كانتا متباعدتين ، لان اصدقاء اصدقائنا اصدقاؤنا واعداء اعدائنا اعداؤنا ، ورب جيران متساكنين يتآخون ورب جيران يختصمون ، بمعنى ان مصلحة الامة تأمر بالتحالف تارةً مع هذه وطوراً مع تلك

حدا بالفرنسيس الخوف من الاسرة المالكة في النمسا ان تصالحوا مع الترك وبينهم من العداوة الدينية حوائل ومن الحنق والكره طوائل بل صافوا انكلترا وهي عدوتهم القديمة وبينهم من الحفائظ ما تسودُّ لهولهِ بيض الايام

ولطالما تطلَّب الملك فرنسيس الاول عقد تحالف مع انكلترا فلم يتهيأ لهُ ذلك الاَّ على عهد لويس الرابع عشر. وقصارى القول ان القاعدة العامة بين جارين لا يحبهما جار آخر ان يؤاخي اقلهما خطرًا دفاعًا عن حوزتهِ ويتناسى الاحقاد الماضية وما يُتوقَّع من الخصومة في الآتي

﴿ الثاني — قرابة الاجناس ﴾ كم من امم تقاربت لا من اصل منشإها بل بالاختلاط الذي حصل ويحصل في كل مملكة ودور من ادوار الناس . ولا سبيل لان نجد في خليط من الناس ساكنين في صعيد واحد أحفادَ احفاد الجد الاول او اجدادًا متشاكلين . وهنا اضاع علماء الانسان فلسفتهم فلم يستطيعوا ان يحكموا على الناس من جماجمهم واشكالها . والثابت ان كثيرًا من الشعوب المتباينة متجاورةً كانت او متباعدة يطبع فيها تغلُّبُ بعض الشعوب عليها طابعًا اجتماعيًّا لا تنفكُّ تُعرف بهِ . واللغات من اعظم المشاكلات بين الامم . وكلما تكاثرت السياحات بتسهيل المواصلات تظهر هذه المشاكلات متجلية بابهى صورها وتدعو الى مؤاخاة عظيمة مشتركة

ربما تعرَّف الانسان بابن عم لهُ فاحبهُ بمجرد كونهِ ابن عمهِ وبهذا تأسست وحدة ايطاليا. وهذا الاحساس هو الذي أهاب بالأمارات البلقانية الى التنبُّه وبهِ قامت الاتحادات الجرمانية والسلافية واليونانية

ولا تنسَ حماس الهولانديين للبوير وحسن صلات البرتغال والبرازيل وكيف تصالحت اليابان مع الصين بعد حربهما الاخيرة

ولا يفوتنك ايضًا ما يشهدهُ الروس من السهولة بين قبائل التتار التي أُضيفت بلادها اليهم. وفينلدا لا تزال نافرةً منهم لمخالفة هيئتها الاجتماعية للروسيين كل المخالفة . فالقيصر يحيَّا احسن تحيَّة في سهول سمرقند القاحلة الواسعة مما لا يحيَّا بهِ على بضعة اميال من بطرسبرج . ذلك لان الروسيَّ على الحقيقة مغوليٌّ تحضَّر . فكأنهُ عند انتقالهِ الى اواسط آسيا دخل دارهُ وحُشر بين جيلهِ وقبيلهِ اذا اردنا ان نتكلم بلسان اجتماعي

ومما يستدعي الاعجاب ويستلفت النظر ما حدث من تآلف المان المانيا بالمان النمسا تآلفًا كان داعية لتسهيل التحالف الثلاثي فان الالمان في بلاد النمسا يؤلفون الطبقة الحاكمة . وحكومة تلك البلاد منجذبة باميالها نحو اهالي بروسيا مهما تحرَّجت من هذا الميل ونأت عن

توطيدهِ ولئن كان هذان الشعبان متجاورين فانهما متحابّان . ولا بدَّ ان يعرو هذه الحال قلب وابدال اذا انتهت الرئاسة الى ايدي السلاڤ والتشك خاصة وبين هذه الشعوب والالمان من النفور المستحكم القديم ما يعلم الباحثون مكانهُ . على ان هذا التبدل ليس كما يتوهم البعض قاب قوسين او ادنى لضعف قوة السلاف من حيث الاجتماع ووقوفهم فيهِ دون خصومهم مع تفرُّق كلمتهم وانشقاقهم على انفسهم والمجر الذين يبغضونهم اقرب الى الالمان منهم اليهم فيما اذا استصرخوا لقتال عدوّ عام

اما ايطاليا فليس لها في النمسا اقل ميل على ما عُلم . وقد دعتها القاعدة الاولى التي ذكرناها آنفاً ان تخطب ودّ المانيا وان لم تجاورها وهي حامية هدتها اليها الطبيعة . فايطاليا منضمة اذاً الى النمسا بالقوة وحكم التبعية كما انك تضطر الى ان تسلّم على من بينك وبينهُ برودة اذا صادفتهُ عند صديق لك

وما يدعو اليهِ الجنس من التآلف ظهر من حركة الرأي العام التي عقبت الحروب الاخيرة فانك لا ترى امة اوربية تحمَّست حق التحمس لاهل مدغسكر الذين داهمتهم فرنسا ونزلت في عُقر دارهم ولا لاجل المراكشيين الذين قاتلهم الاسبانيول ولا للدراويش الذين تغلبت الحملة الانكليزية المصرية عليهم . ولكن تعال اشهد الاميال التي حازها البوير في اوربا كلها بل في انكلترا نفسها

﴿ الثالث — رابطة الافكار ﴾ يقوى نوع هذا التآلف غالباً في نفوس الشعوب المتحدة في سياستها . وربما أُشربتهُ القلوب إعظاماً للاحساس الديني

لا جرم ان مسائل المصالح تمتزج احياناً في هذه الاميال التي لا غرض فيها . وقد يحدث ان تكون حركة الائتلاف خُلقاً بغير تكلف بحيث ينطبق عليها قولهم " ان الطيور على اشكالها تقع " "وشبيهُ الشيء منجذب اليهِ" . ويحدث ان يكون المتعاقدون على اخلاص الولاء عن بعد من امم منوعة مؤلفة من المغلوبين على امرهم المقهورين من عدوهم . فلا يأْمل الفريق الاول من الثاني الاَّ ما ترجوهُ الثكلى من الثكلى فانهما تتحابان وتتباثان الجوى وتتناجيان في سر هذا التحاب كما يتحاب الاشتراكيون من اي بلد كانوا ويتآخون على اتباع طريقة ما مع اخوانهم في البلدان الاخرى

اذا عُرف هذا ساغ ان نقول انهُ يمكن التأْليف بين المتباعدين من الامم باتحاد الدين خصوصاً في الاعصر التي كانت لهُ على العقول السلطة النافذة . ولولا هذا التآلف السامي بذاته لم يجرِ ذاك الاتحاد الذي دعا الى قيام الصليبيين اتحاد لم ينظر فيهِ الى ما بينهم من الخصومات

وتشاجر الاغراض والوف من دواعي التنافر التي تنوسيت وعُمل بما قيل "عند الشدائد تذهب الاحقاد"

ترى من ذلك ان ما يدعو الى اهتمام الاوربيين بالحبشة واظهارهم صورة منليك بمظهر عاهل وامبراطور هو احتفاظ الاحباش ببقية من النصرانية وهذا التآلف كان مستحكماً ايضاً قبل اكتشاف بلاد الحبشة ايام كان ينقب عنها الملاَّحون البرتغاليون في شواطئ البحر الهندي ولا قائد لهم الا اقاصيص مدخولة مبهمة

ومثل هذا التآلف حصل بين المسلمين على بعد الديار فقد انتشر في تركيا بل بلغ الهند خبر الهزيمة التي قاسى منها المراكشيون البُرَحَيْن فصار المغول اعداء المسيحيين لما تظاهروا بالاسلامية على انك ترى تيمورلنك أنحى على الاتراك انحاء شديداً ومثّل بهم تمثيلاً. ولا تنسَ ان فرنسا يألفها الكاثوليك المشارقة خصوصاً المؤازرة. وما برحت فرنسا حاصلة على بعض النفوذ في الخارج باسم الدين مما يعرفهُ حق المعرفة تاركو الدين من اهل السياسة

ومن انواع التآلف تآلف مبنيٌّ على وحدة الآراء بين الشعوب الحية والشعوب المائتة وبين الحاضر والماضي فقد يتشيع الجمهوري للجمهوريات اليونانية ويتشيع الملكيُّ للمملكة اليونانية بل قد يتشيع اناس لسويسرا بسبب غليوم تل — احد الرجال الذين حرّروها من سلطة النمسا سنة ١٣٠٧ — وقد يتشيع اناس على البندقية بسبب ذلك المجلس السرّي الذي كان مؤلفاً من عشرة اشخاص على عهد جمهورية البندقية القديمة

وقد اثنى انصار الحكومة الديموقراطية المتحمسون على مدينة اسبارطة الديموقراطية مع انها كانت محكومة بملكين والرقيق فيها يعامل اقسى معاملة . وكان اعداء الدين يقدسون سقراط واعوانهُ وقد كان هو ومن لفَّ لفهُ اكثر تديُّناً من الحزب الذي كان يطاردهم . واصبح من الظَّرف ايام الثورة الفرنساوية ان يلعن قيصر ويبارك بومبينوس لان هذا دافع عن الجمهورية الرومانية لانقاذها من طامح الى الحكم المطلق مع ان بومبينوس كان يرأس الطبقة العالية من الرومان وقيصر يرأُس جمهور الشعب

هذه خلاصة ما سطَّرهُ الفيلسوف الافرنسي وفيها زبدة الاسباب التي تدعو الى توادالامم وتباغضها وتآلُف القلوب وتفرُّقها

محمد كرد علي

مدام رويه

يعلم قرَّاء المقتطف اسم هذه العالمة الفاضلة والمؤلفة المشهورة ولا سيما الذين قرأُوا ترجمتها في الجزء الثامن من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف . وقد نعتها المجلات العلمية في اوائل الشهر الماضي (٦ فبراير) بالغة ثلاثاً وسبعين سنة قضت اكثرها في خدمة العلم والفلسفة. ترجمت كتاب دارون المعروف باصل الانواع الى اللغة الفرنسوية سنة ١٨٦٢ وقدَّمت لهُ مقدمة من ادق ما كُتب باللغة الفرنسوية في هذا العصر من حيث ابداء الآراء الفلسفية وبسطها. وكانت قد عُرفت بالبلاغة وحسن البيان من اشعار نظمتها ونشرتها في المجلاَّت الفرنسوية ومن

رسالة ألَّفتها موضوعها "ماذا يجب ان تكون الكنيسة في البلاد الجمهورية" ومن تعاليمها المنطق للنساء في لوسان بسويسرا بعد ان اتمَّت دروسها في السربون وكولاج ده فرانس بباريس. لكن شهرتها بلغت اوج مجدها لما ترجمت كتاب دارون وقدَّمت لهُ المقدمة المشار اليها ومن ثمَّ تبوأت اعلى مقام بين رجال العلم والفلسفة ثم توسعت في هذه المقدمة فكان منها كتابها المشهور في اصل الانسان والجماعات

ومن كتبها المشهورة كتاب الصلاح والناموس الادبي Le Bien et la Loi Morale المطبوع سنة ١٨٨١ وكتاب نظام العالم La Constitution du Monde المطبوع سنة ١٩٠٠ ردَّت في هذا الكتاب كل ما يُعرَف من نواميس المادة الى حركة الجوهر الفرد على اسلوب فلسفي بديع. وقد زارها ولدنا نجيب صروف سنة ١٨٩٩ ورآها مشتغلة بطبع هذا الكتاب فشرحت لهُ اسلوبهُ شرحاً بيناً وقالت انهُ ثمرة حياتها وغاية ما وصلت اليهِ معارفها وفلسفتها. وكانت الشيخوخة قد اضعفت جسمها وازالت نضارتها ولكنها لم تضعف عزيمتها ولا كدَّرت صفاء عقلها ولا ازالت البشاشة من وجهها

وسنة ١٨٩٥ قام برتلو واولار وربيو وريشه ولتورنو ولفسه وهم من اشهر رجال فرنسا وطلبوا لها نشان لجون دونور قائلين انها عالمة وفيلسوفة نادرة المثال من اللواتي اشتهرن في القرن التاسع عشر فاجيب طلبهم سنة ١٩٠٠ وقدَّم لها النشان وزير المعارف المسيو لجيس في وليمة حافلة

وكانت من الشهيرات في الدفاع عن حقوق النساء. وقد ربيت في المذهب الكاثوليكي وقصدت ان تصير راهبةً في صباها لكن اباها صرفها عن ذلك فعادت في خدمة العلم والفلسفة

ظواهر الجو ومذهب ارهنيوس

كل ما في العالم في الارض والسماء غريب عجيب لا يدرَك كنههُ ولكن ما تراهُ العين يوماً بعد يوم تألفهُ ولا تعود النفس تشعر بغرابتهِ واما ما يقلُّ ظهورهُ كالنجوم ذوات الاذناب والمشاعيل التي ترى بارزة من حرف الشمس وقتما يكسفها القمر كسوفاً تاماً واكليل النور الذي يحيط بها حينئذٍ والنور البرجي الذي يرى بعد مغيب الشمس مستطيراً في منطقة البروج والشفق القطبي الذي يصل الى اقليمنا في بعض السنين ويتكرَّر ظهورهُ في نواحي القطبين — كل ذلك وما جرى مجراهُ لم تزُل غرابتهُ من النفوس ولا يزال العامَّة والخاصَّة يندهشون من رؤيتهِ اما العامَّة فلِمَا ذكر من غرابتهِ واما الخاصَّة فلأَنهم حاولوا تعليلهُ على طرق شتَّى فلم يصلوا الى

تعليل يشفي الغليل وتسلّم بحصته كل العقول الى ان قام عالم اسوجي منذ سنة من الزمان وعلّل هذه الظواهر تعليلاً يراهُ العلماءُ الآن اقرب كل التعاليل الى الحقيقة

وخلاصة ذلك ان للمادة دقائق اصغر جدًّا ممَّا كان يُعرَف بالجوهر الفرد الجوهرُ من الهيدروجين يساوي الف دقيقة منها وهي تحمل الكهربائية السابيَّة وتنبعث بسرعة فائقة من القطب السلبي في انابيب كروكس ومن الاجسام التي تقع عليها اشعة رنتجن ومن الاجسام الحارة كالمعادن الحامية ومن المعادن الباردة اذا وقع عليها النور الذي فوق اللون البنفسجي في اشعَّة الطيف . واذا مرَّت هذه الدقائق في غاز من الغازات احدثت فيهِ دقائق من نوعها كانها تحلها من جواهرهِ والمواد تتجمَّع وتتكاثف حول هذه الدقائق فيكبر حجمها بها

تعليل ذوات الاذناب

هذه هي الامور التي بنى عليها ارهنيوس العالم الاسوجي تعليلهُ للظواهر الجوية فقال في تعليل ذوات الاذناب ان نور الشمس يشعُّ منها بقوة معلومة وهذه القوة يمكن معرفتها بالحساب وهي ضعيفة لا تؤثر في دفع الاجسام الكبيرة عن سطح الشمس ولكن اذا صغرت الاجسام جدًّا حتى صارت مثل الدقائق المشار اليها صارت قوة دفع النور لها اعظم من قوة جذب الشمس فاذا كان قطر نقطة الماء جزءا من الف جزء من المليمتر وكانت النقطة مكعبة الشكل فيكون ثقلها على سطح الشمس اقل من دفع نور الشمس لها فيدفعها عنها

ومعلوم ان ذوات الاذناب تدور حول الشمس واذنابها مؤلفة من غازات هيدوكربونية وهي تبتعد تارةً عن الشمس وتدنو تارةً منها فاذا كانت دقائقها صغيرة جدًّا حتى يزيد دفع النور لها على جذب الشمس اياها بقيت وراء ذوات الاذناب كأَنها مندفعة عن الشمس واذا كانت دقائقها كبيرة حتي يزيد جذب الشمس لها على دفع النور مالت الى جهة الشمس . وقد حسب بعضهم انهُ اذا كان قطرُ الدقيقة من هذه الدقائق نحو جزء من الف جزء من المليمتر فقوة الدفع مضاعف قوة الجذب واذا كان قطر الدقيقة ستة اجزاء من الف جزء من المليمتر فقوة الجذب ثلاثة اضعاف قوة الدفع

وحينما يقترب ذو الذنب من الشمس تفعل حرارتها الشديدة بهِ فيغلي الهيدروجين الذي فيهِ وتتكاثف الابخرة فيتكوَّن منها نقط صغيرة جدًّا او تندفع منهُ دقائق صغيرة من الكربون كما تندفع من لهب القنديل فاذا كانت هذه الدقائق كبيرة عادت الى المذنب ووقعت عليهِ واذا كانت صغيرة اتجهت نحو الشمس واذا كانت اصغر من ذلك دفعها نور الشمس فمالت الى الجهة الاخرى من المذنب وامتدت في الفضاء . واذا كانت مادة المذنب مختلفة تكوَّن لهُ اذناب

عديدة بعضها ينجذب الى الشمس وبعضها يندفع عنها حسب كبر دقائقها وصغرها

ثم ان السرعة التي تطول بها هذه الاذناب عظيمة جدًّا فقد حسب الفيلسوف اسحق نيوتن ان المذنَّب الذي ظهر سنة ١٦٨٠ طال ذنبهُ في يومين ستين مليون ميل . فاذا كان قطر الدقائق التي يتألف منها هذا الذنب نصف جزء من مليون جزء من المليمتر دفعها نور الشمس ٤٣٠ كيلومترًا في الثانية من الزمان او ٨٦٥٠٠٠ ميل في اقل من ساعة . والمرجح ان في اذناب ذوات الاذناب دقائق كثيرة اصغر من ذلك فاذا كان قطر كل دقيقة منها عشر جزء من مليون جزء من المليمتر قطعت هذه المسافة في نحو اربع دقائق وقطعت في يومين نحو ستماية مليون ميل · وعلى هذا النمط يعلَّل كل ما يظهر في ذوات الاذناب من ابتعاد اذنابها عن الشمس واقترابها منها والسرعة الفائقة في امتدادها

الاكاليل والمشاعيل

حينما تكسف الشمس كسوفًا كليًّا يُرَى حول حرفها السنةٌ حمراء من النار تنبعث ثم تنعطف عليها او تبقى في الفضاء كغيوم طافية في الجو على ابعاد شاسعة اربعين الف ميل او اكثر ويظهر حول حرفها اكاليل من النور الساطع يحيط بهِ احاطة الهالة بالقمر وتنبعث منهُ اشعة نورانية يبلغ طولها احيانًا اضعاف قطر الشمس . وتعليل ذلك على مذهب ارهنيوس انهُ تنبعث من الشمس ابخرة مختلفة تتكاثف اذا علت عن وجه الشمس وتصير دقائق صغيرة فاذا كان قطرها اكبر ممَّا يلزم لتغلُّب قوة الدفع على قوة الجذب عادت الى سطح الشمس منعطفة عليها واذا كان قطرها اصغر ممَّا يلزم لتغلُّب قوة الجذب على قوة الدفع اندفعت عن الشمس بقوة النور والاولى هي المشاعيل التي تُرَى حول الشمس وقت كسوفها والثانية هي اشعة الاكاليل الذي يحيط بها · وليس من الضروري ان تكون قوة الدفع الاولى التي تدفع هذه المواد عن سطح الشمس عمودية عليهِ ولذلك تصعد هذه المشاعل احيانًا منحرفة وتعود الى سطح الشمس في شكل اهليلجي وما كان قطر دقائقهِ منها بحيث تتساوى فيهِ قوة الجذب وقوة الدفع يبقى منتشرًا كالغيوم حول الشمس

النور البرجي وذنب السرحان

النور البرجي هو النور الذي يرى في دائرة البروج فوق الافق الغربي بُعَيْد مغيب الشمس . وذنب السرحان او الفجر الكاذب هو النور الذي يرى في دائرة البروج ايضًا فوق الافق الشرقي قُبَيْل شروق الشمس وكانهما كليهما مخروطان من النور خارجان من الشمس وواصلان الى ابعد من الارض تقدم ان المعادن الحامية يخرج منها دقائق صغيرة منيرة مكهربة بالكهربائية السلبيَّة وعليهِ

لا يبعد ان ينبعث من الشمس دقائق صغيرة منيرة مثل هذه وتندفع عنها بقوة دفع النور لها وتكون كهربائيتها سلبية كما تقدم حتى اذا بلغت جوَّ الارض مثلاً اعطتهُ من كهربائيتها السلبية فدفعها كما هو معلوم من ان جسمين متكهربين بنوع واحد من الكهربائية يتدافعان فتصير الدقائق الواردة من الشمس تصل الى جو الارض وتندفع فينحرف سيرها وتمرُّ على جانبي الارض في شكل هذلولي حتى اذا لاقت اجساماً اخرى في الفضاء وجذبتها اليها كبرت اقطارها وصارت قوة جذب الشمس لها اقوى من قوة الدفع فتعود نحو الشمس. ولو امكننا ان نقف في القمر لرأينا الارض مشمولة بذيلين منيرين احدهما آتٍ من جهة الشمس والآخر متجه نحوها وهما النور البرجي. والارض نفسها تنبعث منها دقائق صغيرة مثل هذه من وقوع نور الشمس الذي فوق البنفسجي عليها فتضاف الى الذيل المتصل بها كأنَّ حزمةً من النور خارجة منها ومتجهة نحو الشمس

اما القمر فلا ذيل لهُ لان ليس لهُ هواء فالدقائق التي تصل اليهِ من الشمس تنتشر على سطحهِ وتحيط بهِ كالغلالة ولا تندفع عنهُ

الشفق القطبي

اذا ادني قطب مغنطيسي من انبوب كروكس الذي فيهِ الدقائق السلبيَّة النيرة او الاشعَّة السلبيَّة اتجهت هذه الاشعة نحو المغنطيس وانحنت عليهِ حتى تصير كالحلقة. وقد تقدم ان الدقائق المكهربة بالكهربائية السلبية تندفع من الشمس الى الارض فاذا دنت منها ودخلت طبقات الهواء العليا التي لطافتها اكثر من لطافة الغازات في انابيب كروكس تكهربت هذه بها وانارت وجذبها قطبا الارض المغنطيسيَّان فتكوَّن فيها حلقات ومجارٍ كما تتكون الحلقات والمجاري في انابيب كروكس اذا ادنيت من مغنطيس. ولذلك يكثر حدوث الشفق القطبي اذا كثر الهيجان في الشمس وكثرت الكلف على وجهها. ويكثر حدوثها ايضاً وقتما تكون الارض مقابلة للمنطقة التي يكثر فيها هيجان الشمس اي من مارس الى سبتمبر. وفي الساعات التي يشتد فيها حر الشمس الواصل الى الارض اي من الساعة الثالثة بعد الظهر فصاعداً وترى في الجهات الشمالية والجنوبية اي بقرب الاقطاب المغنطيسيَّة

كهربائية الجو

اذا كانت الدقائق المندفعة من الشمس الى الارض مكهربة بالكهربائية السلبيَّة وجب ان تكهرب الهواء فتتكاثف دقائقهُ المكهربة بالكهربائية السلبيَّة وتنزل نحو سطح الارض بثقلها ويبقى الهواء العالي مكهرباً بالكهربائية الايجابية وهذا ينطبق على الواقع كما يظهر من امتحان كهربائية الهواء

النيازك

اذا كانت الدقائق تندفع من شمسنا ومن غيرها من الشموس على ما تقدَّم فالواصل منها الى الارض شيءٌ قليل جدًّا وما بقي يسير في الفضاء الى ان يلاقي بعضهُ بعضًا فيتجاذب ويتماسك الى ان تكثر الكهربائية على سطح مجموعهِ ولا تعود تسمح بانضمام غيرهِ اليهِ فتنتشر في الفضاء اجسام صغيرة تجذب الارض بعضها حينما تدنو منها فتسرع اليها وتشتعل من السرعة والاحتكاك بالهواء وهي النيازك وقد يصل بعضها الى الارض سليمًا وهي الرجم ويقع بعضها على شموس اخرى وكرات اخرى غير الكرة الارضية كما يقع علي الارض والشمس دقائق من تلك الشموس وتلك الكرات فيستمر التبادل بين اجرام الكون

السديم

السديم لطخة بين النجوم كالضباب المنير يظهر من البحث في نورهِ انهُ غازي في الغالب. وقد اشكل امرهُ على العلماء لانهُ ان كانت حرارتهُ شديدة حتى يرسل نورهُ الينا فكيف يحفظ قوامهُ على لطافتهِ ولا يتمزق اربًا لان الجذب بين دقائق الغاز ضعيف جدًّا حتى اذا حمي قليلاً انتشر ولم يستطع ان يحفظ قوامهُ ولكن يمكن ان يعلل اشراق السديم على مذهب ارهنيوس بان نورهُ حادث من وقوع هذه الدقائق عليهِ من الخارج فانها تأْتيهِ مكهربة بالكهربائية السلبية فتتفرَّغ كهربائيتها وينير بها غاز السديم كما ينير الغاز في انابيب كروكس بالمجرى الكهربائي. وبرد السديم غير ضائر لان نور الغاز يشتد باشتداد برودتهِ

هذه خلاصة مذهب ارهنيوس وما يُعلَّل بهِ من ظواهر الجو وحوادث الطبيعة وهو من ابدع المذاهب الحديثة واقربها الى التصديق

دلائل حسن التهذيب

وقفت في مجلة انكليزية تدعى " اديوكاشنل رفيو " على مقالة للاستاذ نيكولاس مرّي بتلر مدرس الفلسفة في كلية كولمبيا فاحببت ترجمتها ونشرها على صفحات المقتطف لما فيها من الفائدة لنا نحن ابناء المشرق وقد تصرفت في الترجمة تصرفًا ظاهرًا فحذفت واضفت على ما لاح لي من مقتضيات المقام — قال الكاتب

قام كومينيس الانكليزي منذ مئتين وخمسين سنة وطلب ان تنشأ مدرسة كلية في لندن يجتمع فيها رجال العلم من كل صوب ويؤلفون كتابًا يضمنونهُ مجموع حكمة البشر وعلومهم على

اسلوب يلائم حاجات الناس في الحاضر والمستقبل . وكان مشروعهُ هذا جذَّابًا لاهل القرن السابع عشر ولا غرو فقد كان معتقدهم اذ ذاك ان العلوم ليست الاَّ كمية من الحقائق او المحفوظات ينبغي على المتعلم استيعابها

ولا يزال هذا المعتقد شائعًا بين اهل هذا القرن الساعين وراء المفيد القاصديهِ من اقرب ابوابهِ . فكم من مرة يستدلُّ على تهذيب فلان بعدد ما يعرفهُ من اللغات او بتعدد العلوم التي تلقاها في المدرسة وبمقدار ما وعاهُ من الحقائق في ذاكرتهِ ثم يظهر بالاختبار ان مثل هذا الاستدلال باطل وان للتهذيب الحقيقي مظاهر اخرى ابعد مرمى وافضل عائدة

فما هو التهذيب إذَن هل هو ان يعرف الانسان احوال الطبيعة معرفة تامة منظَّمة فان كان كذلك فكل عالم من المتقدمين والمتأَخرين يكون في مصاف غير المهذبين . او التهذيب ان يكون للانسان مَيل خاص للنظر في بدائع الفنون والآداب ويقضي ايامهُ بالتلذذ التصوري كأَنهُ في عالم الخيال لا الاعمال . فان كان كذلك فكثيرون من اهل العلم والعمل ممن قادوا افكار معاصريهم وشخَّصوا المبدأَ الكمالي في زمانهم واظهروا اسمى الصفات العقلية والادبية يعدون من جملة غير المهذبين

ومعلوم ان حشد المعارف يحدق بنا الآن من كل جهة ويذهلنا بوجوه اختلافاتهِ ومراميهِ وعلى كلٍّ ان يتنحى عن الكثير ويختار القليل . فما احرج الموقف وما اصعب الاختيار وما اكثر الذين لا يحسنون التروي فيعون من المعارف ما لا يجرُّون منهُ مغنمًا ولا يدفعون بهِ مغرمًا فكأَنهم يكتفون بقول الناس عنهم فلان عالم حافظ لا يفوتهُ شاذ ولا ضرب من تخريجات الكلام مع ان واحدهم لا يملك من حطام الدنيا شيئًا يذكر ولا يمكنهُ استخدام محفوظاتهِ التي ينافس بها مع رجال الزمان الطالبين الرزق من ابوابهِ الناحتين الخير من معادنهِ

وعليهِ فمبدا التعلُّم لقصد حشد المعارف واعتبار كميتها بصرف النظر عن امكان استخدامها والانتفاع بها يسقط من نفسهِ ويكون من غايتنا التنقيب عن مبدإٍ آخر في وجهة أُخرى

والمتأَمل في حقائق الحياة المحلل ماجرياتها يرى ان المعارف والفواعل اجمالاً لا ترِد على وتيرة واحدة ولا تؤَثر في العقل تأْثيرًا واحدًا وهي سنَّة الله في خلقهِ بها تحفظ الموازنة بين افراد الهيئة الاجتماعية ويحصل التعاضد والتعاون وتقسيم الاعمال لاختلاف المباديء والمشارب والافكار والمساعي والنيات

انظر الى آلة نفيسة ترَ ان اجزاءها لا يصح التبادل بينها لان ثمَّ حاجات ورغائب لا تسدُّ ولا تنال بانابة هذا الجزء عن ذاك . ومثل ذلك اوجه التمدُّن العلمية والادبية والفنية والنظامية

والدينية فمع انها تشتبك بعضها ببعض اشتباكاً وتظهر كأَنها غير مستقلة بعضها عن بعض فهي بالحقيقة مستقلة بمعنى انهُ لا يمكن لاحدها ان ينوب مناب الآخر او ان يقوم مقامهُ فينبغي ان يكون لكلٍ من هذه الاوجه الخمسة علاقة ما في كل تعليم غايتهُ التهذيب . وهذا التعليم متى انتهى الى التثقيف لا تقاس كميتهُ بالناظر وتعبيرات علمية او ادبية او فنية او نظامية او دينية بل بما ينتجهُ من الصفات في عقل المدرَّب وسلوكهِ . والى هذه الصفات ينظر المستدل على حسن التهذيب لا الى ظواهر المعرفة ومقدار موعيات الذاكرة او محفوظات الذهن . وتوصلاً الى ذلك اذكر خمسة ادلة لحسن التهذيب

﴿ اولها اتقان استعمال اللغة الوطنية ﴾ . وهذا امر حديث في عالم التهذيب لان اللغات الاوربية الحديثة لم تُعتَبر من وسائل التهذيب الاَّ بعدما انتقض حصر وسائط التعليم باللغة اللاتينية عند نهاية الاعصر المتوسطة ففي سنة ١٥٤٩ عضد جاك دي بلاَّي درس اللغة الافرنسية بتصريحهِ " انها ليست مفتقرة كما يظن الكثيرون " ووضع ملكستر بعدهُ بقليل كتاباً في التعليم اضطرَّ ان يبين فيهِ سبب وضعهِ في الانكليزية عوضاً عن اللاتينية — كأَن التأليف ينبغي ان يظل محصوراً في اللاتينية

وهكذا كانت الحال في اللغة الالمانية وبقي اثرٌ منها ايضاً حتى قام الامبراطور الحالي وصرَّح لمجمع برلين المدرسي سنة ١٨٩٠ ان التدريس مفتقر الى اساس وطني وان اساس كل الدروس يجب ان يكون الالمانية كما انهُ يجب على المعلمين ان يمرنوا الصغار ويربوهم لينشأُوا المانيين لا روماً ولا رومانًا وان الالمانية يلزم ان تكون المركز الذي يدور حولهُ كل فرع من فروع التعليم وان بروجرام مدارس الحكومة ينبغي ان ينقَّح تنقيحاً يجعل لدرس الالمانية وآدابها المحل الاول

هذا كلام امبراطور المانيا العظيم والالمانية على ما هي عليهِ من التقدم والاعتبار بين لغات اوربا فمن لنا نحن الناطقين بالضاد من حكامنا من ينهض ويصرح للمعلمين وارباب المدارس الاجنبية والوطنية برغبتهِ في تعزيز جانب العربية وانتشالها من حال ضعفها وجعلها لغة حية تنمو كاللغات الاوربية فيرغب في تحصيلها ابناؤها وغيرهم وتنتشر فيها التآليف العديدة المفيدة

وما دامت اللغة محصورة في كتب الادب شعراً ونثراً لا من يضع فيها المؤلفات العلمية والفنية والاجتماعية ويسير بها على مطالب العصر سوى ما تأتي بهِ بعض الجرائد والمجلات فايقن انها قريبة من شفا جرف هارٍ وزمان سقوطها ليس ببعيد

واذا كان اول دليل عند العالم الاوربي على حسن التهذيب جودة استعمال اللغة الوطنية فاين درجة شباننا وطلبة مدارسنا من التهذيب الحقيقي وكلهم قاصرٌ عن التعبير عن افكارهِ بلغتهِ

تعبيرًا تامًّا مفهومًا فانهُ اذا اراد احدهم ان يذكر حادثة تاريخية او يشرح مسألة علمية او يصف منظرًا رائعًا تعذَّر عليهِ استعمال اللغة التي ينطق بها لانها غير فصيحة ولم يجد في محفوظاتهِ من الالفاظ والتراكيب ما يفي بالغرض المطلوب

واذا شاء احدهم ترجمة مقالة ما فانهُ يلاقي الامرَّين في التفتيش عن الفاظ واوضاع علمية لغوية تطابق المقصود اذ ليس لهُ ان يشتق صيغة جديدة لما يعرض امامهُ من الالفاظ العلمية الجديدة في اللغات الاوربية الحية او ان يسوق كلمة لغير معناها الحرفي المنقول عن سادتهِ العرب فكأَن القواعد وجدت قبل الالفاظ وكأَن الانكليزية مثلاً او الافرنسية انسب من العربية واقدر على اشتقاق الكلمات اوكأَن اللغة غير خاضعة لناموس النمو شان الصلد الاصم اوكأَن في لغة العصور الخوالي ما يسد كل عوز في لغة العصر الحالي ويقوم بكل مطلب

فاليكم ايها اللغويون ارفع صوتي الضعيف واقول لا تضيقوا على الكتَّاب والطلبة الاحداث بكثرة انتقاداتكم ولا تسدوا باب التعريب بل تسامحوا في اوضاع الكلمات واقبلوا من المعرَّب ما كان سهلاً منسجمًا واعلموا ان مفردات اللغة واصطلاحاتها متى تداولتها اقلام الكتاب وتنازعتها عوامل الاستعمال عاش منها جانب وهلك جانب طبقًا لناموس بقاء الانسب المسلط على عالمي النبات والحيوان

﴿ اما الدليل الثاني على التهذيب الصحيح فهو حسن السلوك ﴾ ألا ترى انهُ يستحيل على الشخص ان يكون حسن السلوك في كل زمان ومكان ما لم يكن مقتنعًا في نفسهِ بفضل هذا الخلق وجمالهِ. فحسن السلوك إذَن مظهرٌ لما انطوت عليهِ النفس واستحسنهُ العقل فان كان مصنَّعًا فحكمهُ حكم غشاء خارجي يمزقهُ اقل مس لانانية صاحبهِ. ولا يكون الانسان حسن السلوك ما لم يكن في نفسهِ ترفُّع واحترام يقودانهِ الى احترام غيرهِ وخير محك لانسانية الشخص سلوكهُ مع من دونهُ لان سلوكهُ مع المساوين لهُ او مع مَن هم فوقهُ مكيَّف بأَغراض شتى يصعب معها معرفة الحقيقي من الملبَّس

وليكن معلومًا انهُ بقدر ما نظهر لاخواننا من الاحترام والمراعاة والتلطف يحكَم علينا فيما اذا كان سلوكنا هذا عرَضًا مفارقًا او خلقًا ناشئًا عن حسن تربية مغروسًا في افكارنا مثمرًا في افعالنا. قال الفيلسوف كَنْت منذ قرن ونيف ان الانسان يحيا بنفسهِ لنفسهِ لا ليكون آلة تحركها ارادة هذا او اميال ذاك وعليهِ فاعمالهُ سواءٌ كانت مختصة بهِ وحدهُ او متعلقة بغيرهِ من الاحياء العاقلة ينبغي ان تعتبر صادرة من حي مطالَب لهُ من الحقوق الاجتماعية ما لغيرهِ. وبديهي ان حسن السلوك مبني على ادراك هذه الحقيقة وكل تهذيب يقصر عن غرس المبدإ الادبي في

الانسان ولا يحمله على السلوك الحسن الناشيء عنهُ فهو حقير في ذاته ناقص في مرماه

❊ اما الدليل الثالث على حسن التهذيب فهو قوة التروي والتعوّد عليهِ ❊ . قال الكاتب كثيراً ما عُيرنا نحن المحدثين وبالاخص الاميركيين باننا مغفلو ملكة التروي وخصائصها السامية وذلك ناشيء عن اشغالنا الشاغلة ومناحينا المتعددة واعدامنا الابعاد والوقت بالبخار والكهربائية. نرى العالم باسره قريباً منا وماجرياتهُ ترد الينا بواسطة الجرائد اليومية فيطير فكرنا من منيلا الى بكين ومن بكين الى الترنسفال ومن الترنسفال الى هنانا. تمزقنا العواطف المتضاربة وتشغل افكارنا تصوُّرات شتّى تتبع بعضها بعضاً بسرعة غريبة نقصر معها عن التروي في اية حقيقة كانت من الحقائق العظمى. هذا ما يوجههُ الينا المنتقدون وحقيق ما هو

قال سقراط ان الحياة بدون النظر الداخلي وفحص النفس لا تعتبر حياة — الحياة التي لا ترى علل ما جرى لها في الماضي ولا تعيّن غاية لها في المستقبل — الحياة التي لا غرض لها ولا تدرك ما يمر بها باطناً او ظاهراً — هذه الحياة هي حياة حيوان لا حياة انسان. وهنا تظهر المقابلة بين العقل المهذب والعقل غير المهذب — لصاحب العقل المهذب فطنة وترو واعتبارات خاصة تحمله ابداً على العمل في الحالات الجديدة التي ينشرها لديهِ سجلّ الزمان مقتنعاً بصحة ما يعمل لا يقلع عنهُ الاّ اذا ظهرت لديهِ ادلة اوضح واكمل تحمله على ذلك — لصاحب العقل المهذب اقيسة من الحقائق والحكمة والاختبار البشري يقيس بها كل امر جديد يطرأُ عليهِ وهذه الاقيسة لا تكتسب الاّ بحسن التأمُّل والتروي. اما العقل غير المهذب فليس الاّ فريسة لتخيلات الطيّارة وضحية للتعاليم الملبّسة

وما اصدق ما قالهُ رنان ان اول شرط لارتقاء العقل هو ان يكون لهُ حرية. وعنى بحرية العقل عتقهُ من سلطة مالا يُعقل واطلاقهُ ليختار المعقول المطبّق على المبادئ القويمة اذ لا بدّ لكل رجل مهذب من جملة مبادىء يعتصم بها ويدرج تقدمهُ عليها. ولا مشاحة ان درس الفلسفة هو الذي يرقي قوة التروي في الانسان الى ان تصبح عادة بحكم الاعادة ومثل ذلك درس آداب اللغة والنظامات السياسية والعلوم الطبيعية من وجه فلسفي

واعلمْ انك متى اخذت تسأل "كيف" "ولماذا" فانت على طريق العلم والفلسفة وبداءة التروي. والرجل الحقيقي التهذيب يسأل هذين السؤالين على الدوام وتكون النتيجة انهُ يمارس التروي والتبصر في اقوالهِ وافعالهِ

❊ اما الدليل الرابع على حسن التهذيب فهو قوة النموّ ❊ . من العقول ما يرقى الى درجة معينة ثم يتبلور تجازاً او يجمد ويأبى النمو فيما بعد فيعيش صاحبهُ وكأَن عقلهُ في عالم الغيبوبة لا يعمل

من الاعمال الاَّ ما يبقيهِ حيث هو لا حركة ولا تقدُّم ولا قوة جديدة . ولا دافع على الدرس المتواصل والتعليم الذاتي اللذين هما ركنا التهذيب ومجلسا نموهِ

ولا مراء ان العقل النامي المرتقي مدى الحياة هو غاية في الجمال ومدعاة لاعجاب الناس . وهذا ما رفع المستر غلادستون الشهير الى مناصبهِ العديدة واحلَّهُ اخيرًا المكانة الاولى عند امتهِ وجعلهُ جذَّابًا للشبان محبي الرفعة والجاه وهو مثال ما يفعلهُ كل عقل مدرَّب يصاحبهُ سعة النظر ورحابة الصدر وعمق التروي وبعد المرمى اثمار التهذيب ومظاهر نموهِ

ثم انهُ من الضروري لهذا النمو ان يكون للانسان غرض عام لان التضييق العقلي والادبي يضاد النمو فهو والنمو في حرب مستمرة . ولا ينكر ان جانبًا من التهذيب الحالي هو غير التهذيب الصحيح لانهُ يجعل النمو صعبًا ان لم نقل مستحيلاً . وهذا ما يعترض بهِ على بعض مديري المدارس الاجنبية في بيروت وغيرها وهو انهم يسوقون تعاليمهم وذرائع تهذيبهم للطلبة في وجهة لا تفسح للعقل مجالاً للتروي ولا تعوّدهُ ارجاع المعلولات الى عللها والاستفهام عن الغامض "بكيف" "ولماذا" بل هم يلقون مواد تعاليمهم في عقول الطلبة لنمو التعصب المذهبي عوضًا عن تربيتهم على التساهل واعتبار الناس كلهم اخوانًا في البشرية يتعاونون معًا في الحياة الدنيا على ترقية الهيئة الانسانية بخدمة بعضهم بعضًا . وعسى ان لا تطول هذه الحال بل يقوم من ابناء الشرق من يضرب على يد كل اجنبي يسعى في ازدياد انشقاقنا وتفرُّق كلمتنا بتشريبنا حب التعصُّب والانقسام ويعضد كل من يعمل على تعميم التهذيب الحقيقي وانتشار التعليم القويم

ومن اعداء النمو ايضًا التفرغ الباكر في الحياة لعلم ما فانهُ يحدد مجال المعرفة والمصلحة ويقودُ الانسان الى التقصير عن ادراك نسبة مصلحتهِ الخاصة الى مصالح غيرهِ . قال الاسقف سبولدن في خطاب لهُ ان الحياة مجلس قوة يرتقي فيهِ الانسان الى درجة الادراك الذاتي ومنها الى درجة معرفة عالم الحق والنظام والمحبة حيث يبطل العمل الناشيء عن الغريزة المحضة ويتسلَّط العقل والضمير على افعال الانسان وتصرفاتهِ . ثم متى ترقَّى هذا التسلط تعمدًا واختيارًا فذلك هو التهذيب او التربية

﴿ والدليل الخامس على حسن التهذيب هو المقدرة على العمل ﴾ ولقد فات الزمان حينما كانت الغاية الكمالية من التهذيب الانسحاب من العالم ومتعابهِ للاعتزال والتعمق في التأمُّلات والتخيلات الفارغة واليوم لا يعتبر الرجل حقيقي التهذيب ما لم ينتظم في سلك العمل ويبرهن عن درجة معارفهِ بتشغيل ذهنهِ ولسانهِ ويدهِ ويسعى في تحسين الهيئة التي تضمهُ ثم يترك العالم ارقى مما لقيهُ . فالعمل ثمرة العلم ودليل على حيوية التهذيب . اعملْ يا من تدعي العلم وبسطة

المعرفة وسعة الاطلاع وكثرة المحفوظات اعمل ايَّ عملٍ شئت على شرط ان تتقنهُ وتنتفع بهِ . عبّرْ عما تعرفهُ بطريقة مفيدة ولا تتحسّس العمل تحسُّساً ولا تكتفِ بالمعارف الوجدانية ولا تتوانَ عن اظهار شيء منها للغير فتكون اشبه برجل على جانب نهر يحاول العبور الى الجانب الآخر وقوة الماء تصدهُ ويرى لديهِ من الاخشاب والادوات ما يستطيع بها صنع رمث يركبهُ ولكنهُ لايمد لذلك يدًا ويقضي الايام حيث هو . والذي يعلم ان اميركا اكتشفت سنة ١٤٩٢ ويجهل الاحوال التي صاحبت ذلك الاكتشاف ولا يعرف علاقة هذا التاريخ بغيره ولا يدرك السبب في اهميتهِ واستعمالاتهِ فاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ او سنة ١٢٩٤ عندهُ سيان

هذه الخصائص الخمس (اتقان اللغة الوطنية وحسن السلوك وعادة التروي وقوة النمو والمقدرة على العمل) هي ادلتي على حسن التهذيب وبها يعرف المهذبون وفي ساحتها يلتقي الطبيب باللغوي والطبيعي بالفيلسوف وكلٌّ يعرف ان صاحبهُ عالم مهذَّب مع ان وجوه معارفهم مختلفة ومواقف مراميهم متضاربة ولكنهم متحدون بالاخاء مرتبطون بربط الصفات التي نشأت في عقولهم مما تدربوا عليهِ من العلم والعمل

وليكن معلوماً ان بدون هذه الصفات لا يكون الرجل حقيقيَّ التهذيب ولو مهما اتسعت دائرة معارفهِ بل يكون اشبه شيء بتحف الآثار المصرية يبدي بدائع الصنائع وهو ميت بذاتهِ . ولا شيء يرينا ويري الناس ايضاً اننا اكتشفنا السر في تحصيل التهذيب مثل هذه العادات والصفات التي تنشأُ فينا ايام الدرس والتعلُّم وتتقوى بمرور السنين واتساع الاختبار

بيروت المدرسة الكلية الاميركية بولس الخولي
مدرس العربية في القسم الاستعدادي

التحف والذخائر

لماذا يدفع هذا الرجل الف جنيه ثمن حجر من الماس يحلّي بهِ اصبعهُ او اصبع زوجتهِ وهو لو شاء لابتاع بهِ الف اردب من الحنطة كفتهُ وكفت زوجتهُ واولادهُ مئة عام . ولماذا يدفع ذاك الفي جنيه ثمن كتاب قديم وهو يُطبع كل يوم وتباع النسخة منهُ ببضعة غروش . ولماذا يدفع ذلك عشرة آلاف جنيه ثمن صورة باعها مصوّرها بمئة جنيه وهو يحسب انهُ جوزي على تصويرها احسن جزاء . ولماذا يدفع الغواة الف جنيه ثمن طابع البريد واصل ثمنهِ غرش او نصف غرش . لماذا هذه المغالاة بالاشياء النادرة مهما كان نوعها صوراً وتماثيل وحجارة كريمة

ومصوغات ومصنوعات وكتباً وطوابع بريد . الغرض الاول الامتياز فان الانسان يتوخَّى الامتياز على غيرهِ فاذا بلغ كفافهُ من حطام الدنيا وزاد عليهِ كثيراً حاول انفاق بعض الزائد في ما يميزهُ على غيرهِ كالرتب والنياشين والحلى والجواهر والمصنوعات النادرة ونحو ذلك مما يعجز غيرهُ عن لحاقهِ فيهِ . وقد لحظ هذا بعض التجار من طلَّاب الكسب فصاروا يتَّجرون بهذه الاشياء ويغالون في اثمانها تحيُّلاً حتى يكسبوا من الراغبين فيها . وارباب الثروة الواسعة لا يبالون بانفاق الالوف على ما يزيدهم امتيازاً على غيرهم

وقد اثرى بعض الناس من التفتيش عن التحف النادرة وبيعها للاغنياء باثمان فاحشة من ذلك صورة منسوبة الى المصور الانكليزي غاينسبرو يقال انها صورة جيورجينا دوقة ديفنشير فقد باعها بيت كرستي الذي يتجر بالصور بعشرة آلاف جنيه سنة ١٨٧٦ فدهش الناس من ذلك حينئذٍ لان هذا الثمن فوق ما كانوا ينتظرون ولم يكونوا قد سمعوا عن صورة بيعت بمثلهِ لكن المستر مورغان الغني الاميركي ابتاع هذه الصورة عينها في الصيف الماضي بثلاثين الف جنيه وابتاع صورة اخرى من تصوير رافائيل بمئة الف جنيه وعرض مئتي الف جنيه على عائلة بورغازي الايطالية ثمن صورة مشهورة من تصوير تشيان فلم تسمح لها حكومة ايطاليا ببيعها ثم اشترتها هي منها بمئة الف جنيه مع القصر الذي هي فيهِ

وهذه الصور كبيرة قد يرى في حجمها ما يشفع ولو قليلاً بغلاء ثمنها ولكن هذه الاثمان الفاحشة تباع بها احياناً الصور الصغيرة ايضاً فقد اشترى بعض الفرنسويين صورة من لورد ددلي بخمسة وعشرين الف جنيه وهي صغيرة كراحتي اليدين طولها ١٧ سنتمتراً وعرضها كذلك ومزيتها الكبرى انها من تصوير رفائيل المصور المشهور ومن خيرة صورهِ . ومن الصور الصغيرة الثمينة صورة للمصور ميريس طولها ٤٣ سنتمتراً وعرضها ٣٥ بيعت باربعة آلاف ومئة جنيه . وصورة اخرى اكبر منها قليلاً بيعت في المزاد العلني ببلاد الانكليز في السنة الماضية باربعة عشر الفاً وخمسين جنيهاً وطولها اربعة اقدام وثلاث عقد وعرضها ثلاث اقدام وخمس عقد فبلغ ثمن العقدة المربعة منها سبعة جنيهات ومن الصورة التي قبلها سبعة عشر جنيهاً واربع شلنات ومن الصورة الاولى التي باعها لورد ددلي اكثر من خمس مئة جنيه

وقد ذكرنا غير مرة ان الحكومة الانكليزية دفعت ثمن صورة واحدة من تصوير رافائيل سبعين الف جنيه حتى يمتاز متحف الصور الانكليزي بها على غيرهِ من المتاحف وحتى يستفيد المصورون من رؤْيتها فيهِ

وقد زاد ثمن الصور القديمة في هذه الاثناء زيادة فاحشة فان صورة من تصوير غاينسبرو

بيعت سنة ١٨٦٧ بثمانمئة واربعين جنيهاً بلغ ثمنها ٣٢٢٥ جنيهاً سنة ١٨٩٦ ولو عرضت الآن للبيع لبلغ ثمنها اكثر من ذلك كثيرًا وقد يزيد الثمن في سنة واحدة مثال ذلك ان صورة بيعت سنة ١٨٩٥ بالف وتسعمائة وثلاثة وخمسين جنيهاً ثم بيعت في السنة التالية بالفين وثمانمائة وسبعة وثمانين جنيهاً

والمغالاة بطوابع البريد النادرة اغرب من المغالاة بالصور النادرة ولم يكن احد يهتم بجمعها منذ ثلاثين سنة غير اولاد المدارس اما الآن فصار لها جرائد خاصَّة وتجارة رابحة. باع رجل انكليزي بالامس طابعاً منها ممَّا صُنع في جزيرة موريتيوس بالف جنيه لكن الذي باعهُ انفق على جلبهِ من موريتيوس نحو تسع مئة جنيه . وقد بيع طابعان من طوابع البريد من تلك الجزيرة بالفي جنيه حسبان انهما وحيدان لم يبقَ منهما غيرهما وبيع طابع ثالث بالف وخمسين جنيهاً ولعلَّهُ اكبر ثمن لطابع واحد من طوابع البريد

وقد يبتاع الانسان تحفةً بثمن غير بخس ثم يجد انها تساوي اضعاف اضعافهِ مثال ذلك ان دوق مرلبرو ابتاع تمثالاً صغيرًا باربع مئة جنيه ثم دُفع لهُ ستة آلاف جنيه فلم يبعهُ

وممَّا يغالَى بهِ ايضاً الاثاث القديم فقد اشترى بعضهم في العام الماضي خزانتين من طراز لويس الخامس عشر بخمسة عشر الف جنيه . وعند دوق ارجيل خزانة مزدوجة من هذا الطراز تساوي اكثر من تسعة آلاف جنيه . وبيع بالامس اربعة آنية خزفية بخمسة آلاف واربع مئة جنيه وشمعدانان صغيران بالف ومئتين وثلاثة وستين جنيهاً ولوح صغير عليهِ صورة البشارة وصورة لويس الثاني عشر والملكة حنَّة على جانبيها بالفي جنيه وهو مصنوع بين سنة ١٤٩٩ و١٥١٣ .وبيعت علاقة (مداليون) صغيرة عليها صورة تشارل غيز كريدنال لورين مصنوعة بالمينا على النحاس سنة ١٥٧٤ بالفي جنيه وهي الآن في متحف سوث كنسنتون . وفي هذا المتحف صحفة ثمنها ١١٤٦ جنيهاً وابريق ثمنهُ ٩٩٢ جنيهاً وصندوق صغير ثمنهُ ١٠٠٠ جنيه. ومنذ بضعة اشهر اشترى بعضهم حجَّة قديمة بثمانية شلنات وظهر لدى البحث ان فيها امضاء غاي فوكس الذي قُتل شنقاً سنة ١٥٠٢ ولا يوجد الاَّ ورقة اخرى ممضاة بامضائهِ وقد قدِّر ثمن هذه الحجَّة الآن بعشرة آلاف جنيه من حيث هي ورقة ممضاة باسم رجل مشهور ولا يوجد الاَّ ورقة اخرى ممضاة باسمهِ

على هذا الاسلوب يحاول ارباب الثروة الامتياز على غيرهم بابتياع التحف النادرة المثال وتجاريهم دور التحف ومعارض العلم ولو رمت الى غرض آخر اسمى وابقى من الامتياز

البيان العربي والبيان الافرنجي

تمهيد

البيان حياة العلم بلا مراءٍ واقصى ما تنضى اليهِ ركائب الادباء . وغاية ما تجدُّ وراءهُ طَلَبة الانشاء شعار الفصحاء والبلغاء وسِمة مصاقع الخطباء . وحلية المجيد من الشعراء . اذا قيست اليهِ بقية علوم الادب كانت بين يديهِ كالخدَم . وكان كالسيد العلَم . فهي باجمعها مسوقة لخدمتهِ مبتذلة في سبيلهِ . اذ ليس شيءٌ منها مقصوداً لذاتهِ بل كلها مقصودة من حيث تتأدَّى بطلابها اليهِ

اما فضلهُ عليها فمن جهة الموضوع والغرض المقصود. والعلوم كما لا يخفى انما تتفاضل بتفاضل مواضيعها وتتفاوت بتفاوت مباحثها . وتعظم بعظم مقاصدها . واما علوُّ مباحث البيان على مباحث سائر علوم الادب فيكاد يحاكي علوَّ الأطواد على البسائط . فاين مبحث الاعلال والادغام مثلاً من مبحث الفصل والوصل واين مبحث تصريف الفعل مع الضمير من مبحث الايجاز والاطناب والمساواة . واين مطلب افعال المقاربة من مطالب التشبيه والاستعارة والكناية واين مبحث الدخيل والمولَّد من مبحث الخروج عن مقتضى الظاهر . لكن تلك مما لاغنى للبيان عنهُ ولا سلامة لهُ بدونها فمنزلة اللغة والنحو من البيان منزلة الكليات الخمس من القول الشارح في انها وسيلة اليهِ وانهُ هو المقصود بالذات ولا سبيل الى تعريف شيءٍ حدًّا او رسماً الأ بها

هذا ولما كان البيان من علوّ الشأن بالموضع الذي اومأتُ اليهِ عنَّ لي ان اعارض بيان العرب ببيان الافرنج فان المعارضة خير ذريعة الى اظهار المحاسن وابداء المعايب ومعرفة الراجح من المرجوح والقوي من الضعيف. فاذا قال قائل مثلاً زيدٌ اطول من عمرو وقال آخر بل عمرٌو اطول من زيدٍ كان وجه الحكم ان يجتمع زيد وعمرو ويقف احدهما الى جنب الآخر فحينئذٍ يبدو للعين ايهما الاطول وايهما الاقصر ان لم يكن طولهما متساوياً لكن المعارضة تلك اشبه شيءٍ باجتياز ارض وعرة موحشة لم يمرَّ بها مارٌّ من قبل . ألا وهي بحث جديد لم أرَ فيهِ أثراً لباحث فاتبعهُ ولا كلاماً لسابق فاستدل بهِ . فمثّلْ لعينك وحيداً يسلك وعراً مخيفاً تعلم ان ذلك ليس بالمطلب السهل المنال . بل هو من اجمح ما يحاول القلم تذليلهُ . يقتضي علماً يتناول دقيقهُ وجليلهُ ودقة نظرٍ تبين صحيحهُ وعليلهُ . والأ ارتدَّ الهاجم عليهِ بخفي حنين . ولم اقتحمهُ ثقة باني ابن بجدتهِ والمضطلع بنسج بردتهِ بل شوقاً الى ما وراء الخوض فيهِ من الفائدة وتفكهة للعقول ببحث جديد ذي بال . وقد قسمت الكلام فيهِ الى مطلبين

وخاتمة الاول في ما اتفق فيهِ البيانان والثاني في ما اختلفا فيهِ والخاتمة في كتب البيان العربي

المطلب الاول في ما اتفق فيهِ البيانان

ربما تخال بادئ بدء ان بين هذين البابين اختلافاً بعيد الشقة شاسع المسافة لكن متى تصفحت كتبهما وانعمت النظر في مباحثهما تنقشع عن ذهنك غمامة ذلك الوهم ويظهر لك ان لافرق بينهما الأ من حيث اختلاف اللغة حتى تحسبهما شقيقين فرّق الدهر بينهما طفلين فربي احدهما عند العرب والآخر عند الافرنج فنشأا وليس احد منهما يعرف لسان اخيهِ مع ما بينهما من اتحاد المولد وتشابه الطباع وتقارب الملامح

اول ما يتفق فيهِ البيانان ان كليهما يبحث في صور التراكيب من حيث تختلف بها وجوه المعاني وليس في كليهما بحث يتعلق بصحة التركيب وفسادهِ اصلاً بل قد تُرك ذلك كلهُ للنحو عند العرب والافرنج. والثاني ان اكثر الابواب في البيانين واحدة كالتشبيه والمجاز والكناية والتلميح والتكرار واختلاف الترتيب بين المعمولات والحذف وائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع اللفظ والطباق والايجاز والاطناب الى غير ذلك مما لا غرض لنا باستقرائهِ في هذا المقام . والثالث ان اصحاب البيانين يحرصون كل الحرص على ائتلاف اللفظ مع المعنى ويحذرون من الجمع بين الجزل والرقيق والجافي والسمح لما في ذلك من التنافر المخل بفصاحة العبارة ويوجبون ان يكون الكلم من وادٍ واحد اما رقيقاً كما في قول الشاعر

اذا ريح الصبا هبّت اصيلاً شفت بهبوبها قلباً عليلاً

فالفاظ البيت كلها رقيقة رشيقة واما جزلاً كقول الاخطل في قصيدتهِ المشهورة في مدح عبد الملك بن مروان

فما الفرات اذ جاشت غواربهُ في حافتيهِ وفي اوساطهِ العُشَرُ
وزعزعتهُ رياح الصيف واضطربت فوق الجآجيء من آذيهِ غُدُرُ

والرابع ان الامعان في التصنع والتزويق مرفوض عند العرب والافرنج وقد صرّح بذلك كلا الفريقين في غير موضع من كتبهم . ومن المعلوم عند اهل البيان ان لا اعتبار لشيء من المحسّنات الأ بعد موافقة الكلام الفصيح لما يقتضيهِ الامر الواقع والأ كانت تلك المحسنات كتعليق الدرّ على اعناق الخنازير كما ورد في بعض كتب البيان العربيّ . وقد انشأ محاورةً طويلة امير المنشئين عند الافرنج السيد فنلون في الانتقاد على من يتعمد النكات البديعية والمحسنات اللفظية وقد اشبع ذلك ذماً في رسالتهِ الى المجمع العلمي الفرنسويّ الجليلة الفائدة الرفيعة القدر عند البلغاء والخطباء التي يستظهرها متعلمو الخطابة في اكثر المدارس الافرنجية.

والخامس ان البيانيين من العرب والاعاجم قد اجمعوا على ان مطالعة الخطب المهذبة والقصائد المحبرة ورسم اساليبها ومناهجها في الذاكرة اعون مع الممارسة على تحصيل ملكة البلاغة من دراسة القواعد فقط. وقد صرَّح بهذا ضياء الدين بن الاثير في مثلهِ السائر حيث قال اعلم ايها الناظر في كتابي ان مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيهِ اليك أُستاذا . واذا سألت عما ينتفع بهِ في فنهِ قيل هذا . فانَّ الدربة والادمان اجدى عليك نفعاً واهدى بصراً وسمعاً . وهما يريانك الخبر عياناً . ويجعلان عسرك من القول امكاناً . وكل جارحةٍ منك قلباً ولساناً . الى ان يقول " وما عليهِ ان يخلق لك قلباً فان حمل النصال غير مباشرة القتال " . وقال ابن خلدون في الفصل المترجم بعلم الادب " ان المقصود منهُ عند اهل اللسان ثمرتهُ وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساهُ تحصل بهِ الملكة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوٍ في الاجادة " الى ان يقول " والمقصود من ذلك كلهِ ان لا يخفى على الناظر فيهِ شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم "

قلت من اراد تقريب المسافة على نفسهِ في اكتساب ملكة حسن التعبير فسبيلهُ ان يحتذي على أمثلة البلغاء حتى يرتسم لقوالب كلامهم صورٌ في ذاكرتهِ فما ينقضي عليهِ في مزاولة ذلك الأ القليل حتى يرى على انشائهِ مسحة البلاغة. وقد اشار الى ذلك عبد الرحمان ابن عيسى الهمذاني في كتابهِ (الالفاظ الكتابية) حيث قال " لا غنى بالكاتب البليغ ولا الشاعر المفلق ولا الخطيب المصقع عن الاقتداء بالاولين والاقتباس من المتقدمين "

واعلم ان من اخذ نفسهُ بمعارضة الجيد من المنثور والمنظوم فان كان شهماً متوقد الفؤَاد لا يلبث ان يعلو في النثر والنظم كعبهُ و ياخذ السبق في حلبة الرهان قلمهُ

والسابع ان العرب مثل الافرنج في تنزيل غير العاقل منزلة العاقل فتخاطبهُ وتنسب اليهِ ما ينسب للعاقل كما في قول الفارعة

ايا شجر الخابور مالك مورقاً كانكَ لم تجزع على ابن طريفِ

وكقول المتنبي

واشجع مني كل يوم سلامتي وما ثبتت الاَّ وفي نفسها امرُ

وكقول الحسين بن مطير

أَلما على معنٍ وقولا لقبرهِ سقتكَ الغوادي مربعاً ثم مربعا
أَيا قبر معن كيف واريتَ جودهُ وقد كان منهُ البرُّ والبحرُ مترعا

والثامن ان العرب والافرنج لا يعلّمون البيان الأ بعد النحو فيتأخر الاول عن الثاني كما يتأخر تفصيل البرد عن نسجهِ

المطلب الثاني في ما يختلفان فيهِ

اوَّل ما يختلفان فيهِ ان البيان مقسوم عند الافرنج الى قسمين احدهما علم البلاغة والآخر علم الخطابة والعرب قسموا البيان الى ثلاثة اقسام معان وبيان وبديع واطلقوا على الثلاثة علم البيان وعلى الاوَّل والثاني علم البلاغة وجعلوا البديع بقسميهِ المعنوي واللفظي تحسيناً لا يعتبر الأ بعد رعاية المطابقة المعتبرة في علم المعاني ورعاية وضوح الدلالة المعتبر في علم البيان والأ كان مستهجناً مرذولاً. وفي عدهم البديع المعنوي كلهُ تحسيناً نظر وسنبحث في هذا بحثاً واسعاً

واما علم الخطابة فلم اعلم عربياً تصدَّى للتأليف فيهِ ولذلك ترجم ابن رشد كتاباً في علم الخطابة لارسطوطاليس وقد طُبع في بعض مطابع اوربا العربية ونشرت المطبعة اليسوعية فصولاً منهُ في مجموعة نفيسةٍ موسومةٍ بمقالات علم الأدب. والثاني ان البيان الافرنجي يبحث في مصادر المعاني ومخارجها بحثاً واسعاً ويفتح الابواب لبسطها ويذكر طرقاً تهدي اليها. واما علماء البيان عندنا فلم يتعرَّض احد منهم لعقد فصول في هذا الصدد بل وكلوا بذلك جميعهِ الفطَر والاذواق والاحوال اعتبار ان رسومهُ واحكامهُ مما تستأثر بتعليمهِ الغرائز وتستبد بتلقينهِ الفطر وتهدي اليهِ قوَّة الحس وسلامة الذوق. والثالث ان البيان الافرنجي يذكر طرق تأليف الخطب وتقسيمها واما البيان العربي فلا يذكر في هذا الباب الأ براعة الاستهلال وبراعة التخلص وبراعة الختام. لكن الشعراء اذا ارادوا المدح بدأوا بالغزل او النسيب ومتى فرغ الشاعر من نسيبهِ يتخلص الى مدح من يريد مدحهُ فقد يتقدم بيت التخلص ابيات كثيرة كما وقع لحبيب في داليتهِ التي يمدح بها احمد بن دوًاد ومطلعها

ارأيت ايَّ سوالف وخدود عنَّت لنا بين اللوى فزرودِ

فمن هذا المطلع الى بيت التخلص وهو

هيهات منها روضةٌ محمودة حتى تناخَ باحمدَ المحمودِ

ثلاثة عشر بيتاً فما أدري كيف تكون براعة الاستهلال دالة على ما قصدهُ الشاعر من المدح وهي نسيب او غزل. وقد انتقد على الشعراء هذه العادة بعض ولاة الامر منهم عمرو بن العلاء قال يخاطب جماعة من الشعراء قصدوهُ بقصائد مدحوهُ بها فلم يجز منهم الأ ابا العتاهية "ان احدكم يريد مدحنا فينسب في قصيدتهِ بخمسين بيتاً فما يبلغ مدحنا حتى تذهب حلاوة شعرهِ وتعرى طلاوة رونقهِ وابو العتاهية بدأ بذكرنا وختم بمدحنا فكان المستوجب للجائزة

دونكم ". والرابع ان البيان الافرنجي مترجم عن البيان اللاتيني وهذا مأخوذ عن البيان اليوناني فهو بيان ثلاث أُمم وبلاغة ثلاث لغات. ومن ثمَّ فلا يقتصرون في التمثيل لضروبهِ وانواعهِ على ما ورد في اللغة الافرنجية بل يمثلون لها بما يجدونهُ بليغاً في اي لغةٍ فكثيرًا ما يأتون بأمثلة للطبقة العالية وغيرها من طبقات الكلام بفصول او آيات من اسفار العهدين و بفقر او خطب من يونانيةٍ او لاتينية فيعدون من النمط العالي نبوءة بلعام الواردة في سفر العدد ٢٣و٢٤ وتسبحة موسى قبيل وفاتهِ الواردة في سفر التثنية ٣٢ والنبوَّة بخراب اورشليم وانقضاء العالم المذكورة في انجيل متى ٢٤ كما يعدون من ذلك النمط ايضاً وصف هوميروس لمعارك الابطال وفيلبيات ديموستان وكاتيلينيات شيشرون وعظة الخطيب البليغ بوردالو اليسوعي في مبعث المسيح و يستنتج من صنيعهم هذا انهم في الحكم بالبلاغة ينظرون الى المعنى فوق ما ينظرون الى اللفظ

واما البيان العربيُّ فانما استنبطهُ فرسان البلاغة من النظر في كلام العرب الفصحاء ولم يرد في كتبهم مثال لنوع من انواعهِ مأخوذ عن كتاب اعجميّ وكل شواهدهِ من القرآن والشعر

هذا واذا تصفحت ما في العربية من كتب البيان وشروح الدواوين والبديعيات وكتب الأدب وضممت ما تفرق لهم في تضاعيف ذلك من التنبيهات الدقيقة المرشدة الى احكام صناعة الانشاء فلا يكون المطَّلع على البيان الافرنجي اوسع منك علماً بطرق الكتابة واساليبها ولكن ذلك مما لا تصل اليهِ الاَّ بعد الاعوام وهو عند الافرنج مذكور برمتهِ في اصغر كتب البيان فشتان ما حالنا وحالهم من هذه الجهة

الخاتمة في كتب البيان

ان كتب البيان العربيّ على جلالة مقام اصحابها و بلاغة عبارتها تحتاج الى ان يضم اليها فصول في ما يتعلق بمخارج المعاني ومصادرها و بطرق بسطها وتوسيعها وذلك لتظهر للطالب طرق الكتابة وتتبين لهُ أساليبها . ولا يخفى ما في ذلك من الاعانة ولا سيما لذوي القرائح الفاترة على سرعة التوصل الى الغرض المطلوب . واعلم ان بين الكتب المشار اليها من حيث الارشاد الى صناعة الانشاء تفاوتاً بعيد المسافة فالمثل السائر من هذا الوجه انفع من المفتاح ومن تلخيصهِ وان كان دونهُ من حيث نقاوة العبارة وكذا كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري وحسن التوسل الى صناعة الترسل . وسأَعقد في المفاضلة بين المطبوع من التآليف البيانية العربية فصولاً وافيةً اذ لا شيَ أوفى فائدة للأُدباء والمتأَدبين ولا هدية انخر عند المنشئين من هذه الموازنات

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

السرقة والانتحال

حضرات منشئي المقتطف الاغر الاكرمين

بينما كنت امعن الطرف في رياض مقتطفكم الناضرة عثرت على مقالة في " الانتحال او سرقة الشعر والنثر " كلها سهام جارحات اندفع صاحبها بعد الانتقاد على احد الشعراء الافاضل للحط من كرامة شعراء العرب اجمعين اذ قال "لم ينفرد شعراء العرب في القول بتوارد الخواطر والاجماع عليهِ الاَّ ليسهلوا على المتشاعرين سبيل السرقة" . وهو قول غريب وتحامل عجيب على مثل امرىء القيس وطرفة بن العبد واوس بن حجر وكعب بن زهير والحطيئة وابن الاعرابي وغيرهم من شعراء العرب الذين دانت لهم نواصي القوافي وامتلكوا ازمة الكلام وورد عنهم التوارد الذي ينكر صحتهُ . ذلك ما حدا بي ان اقرر على صفحات مجلتكم حقائق مهمة ودرساً مفيداً فاقول :

يجول خاطر الكاتب في الموضوع فيرى ويتصور صفات هي حقيقة محضة كقولنا عن الماء سيال والقمر سيار او كذب محض كقولنا عن الماء صلب والقمر ثابت او مجاز فيصح احتمالهُ قريب الوقوع كالقول عن السماء قبة زرقاء وعن الشجاع اسد او بعيد التصور كالقول عن الصباح صوارم والليل جحافل او مجاز بعيد الاحتمال كالقول عن الجاني اسد مستبسل . ثم يأخذ بعنان القلم فيقيد تلك الصفات بالالفاظ المناسبة فيجيء الكلام وهو بهذا الاعتبار محض حقيقة او كذب او مجاز منهُ قريب الوقوع ومنهُ بعيد التصور ومنهُ بعيد الاحتمال . ولما كان لكل كاتب نسق خاص يجري عليهِ جاء الكلام اما مختلفاً واما متفقاً

اما الكلام المتفق فاما ان يكون اتفاقهُ لفظاً ومعنًى او معنًى فقط وذلك اما بقصد او بدونهِ . ومواقع اتفاق الكلام لغير قصد هي اولاً تقرير حقيقة لا يعدل عن لفظها ومعناها نحو

ستة واربعة عشر او حقيقة لا يعدل عن معناها كما اتفق لعبد الله بن شرف القيرواني وابن رشيق الارذي بحضرة المعزّ بن باديس وقد اقترح عليهما نظم قطعتين في صفة الموز فقال الاول

يا حبذا الموز واسعاده من قبل ان يمضغهُ الماضغُ
لانَ الى ان لا مجسّ لهُ فالفم ملآن بهِ فارغُ
فانهُ لي مأكل طيبٌ وانهُ لي مشربٌ سائغُ

وقال الثاني

موز سريعٌ اكلهُ من قبل مضغ الماضغِ
مأكلة لآكل ومشربٌ لسائغِ
فالفم من لين بهِ ملآن مثل فارغِ

وكما اتفق للقاضي الاعز بن ابي الحسن وابن ظافر في وصف دولاب قال الاول

حبذا ساعة المجرَّة والدو لاب يهدي الى النفوس المسرَّه
فلك دائرٌ يرينا نجوماً كل نجم منها يرينا المجرَّه

وقال الآخر

حكى فلكاً تدور بهِ نجوم تؤثر في سرائرنا مسرَّه
يظل النجم يغرب بعد نجم ويطلع بعد ما تجري المجرَّه

وامثال التوارد من هذا القبيل كثيرة لا يمكن لحضرة المنتقد انكارها على اصحابها. ولو اقترحنا على حضرتهِ النظم في وصف الموز او الدولاب لما فاتتهُ معاني تلك الابيات . ومن هذا القبيل اتفاق الشاعر المشهور الشيخ نجيب الحداد وشاعرنا المجيد في صفات القمر الظاهرة لكل ذي عينين وليس من العجيب اتفاق الشاعرين على هذا المعنى او اتفاق الوف من الشعراء بل من المستحيل ان يأتي شاعر على صفات هذا المخلوق البديع ولا يقول انهُ سيَّار يدور حول الارض لا يفارقها تمرُّ بهِ الغيوم فتغطيهِ ثم تنقشع فيظهر وكانهُ آهلٌ بالسكان والمخلوقات الحية الخ من الصفات التي لو صحت نسبة السرقة لمن وصف القمر بها لما سلم منها الا الاعمى الاصم ولو اردنا ان نفتش عن اول من قال معنى البيت

لنا في كل شهر منك هلٌّ تعرَّف ما تهلُّ بهِ الشهورُ

لعدنا الى ظلمات التاريخ وربما اوصلتنا الى ابينا آدم

ويتفق الكلام اذا كان مجازاً لتصوُّر قريب الوقوع كما جاء في قولي ابن المنجم وابن قلاقس قال الاول

قلت لما دنت لمغربها الشمس ولاح الهلال للنظارِ
اقرض الشرق صنوهُ الغرب دينا راً فاعطاهُ الرهن نصف سوارِ

وقال الآخر

لا تظن الظلام قد اخذ الشمس واعطى النهار هذا الهلالا
انما الشرق اقرض الغرب دينا راً فاعطاهُ رهنهُ خلخالا

فتشبيه الشمس بالدينار والهلال بالخلخال ونصف السوار تصوُّر قريب الوقوع لا ينكر اتفاق شاعرين عليهِ الاَّ من اغلقت دون افكارهِ ابواب التصور لذلك قلما تحسب الموارد في المواقع المذكورة ضربًا من ضروب البديع والعبرة اذا توافق الكلام المجازي مع تصور بعيد الوقوع كما اتفق لابن الاعرابي وحطيئة حيث قالا

مفيد ومتلاف اذا ما اتيتهُ تهلل واهتزَّ اهتزاز المهنَّدِ

ونظير قول امرء القيس وطرفة بن العبد في معلقتيهما قال الاول

وقوفًا بها صحبي عليَّ مطيهم يقولون لا تهلك اسًى وتجملِ

وخالفهُ الآخر بان قال في قافيتهِ وتجلدِ

ولما كانت امثال هذه التصورات البعيدة الوقوع معرضة للشك في مواردتها وانتحال اصحابها اشرط ان يكون الشاعران من مقام واحد في التصور والكتابة ولهذا اخطأ من ينسب السرقة الى عمرو بن معدي كرب في قولهِ

اكبشة لو شهدتِ ببطن جب وقد لاقى الهزبر اخاك عمرا
تظن لميس ان الليث مثلي واقوى همة واشد صبرا
لقد خابت ظنون ليس فيهِ واضحى البر خالي منهُ صفرا

وان هذه الاقوال مأخوذة من قول بشر بن عفوان

افاطم لو شهدتِ ببطن خبت وقد لاقى الهزبر اخاك بشرا

الخ بالنص الواحد . ومما يجدر ذكرهُ ان القصيدة التي انتقدها حضرة لمنتقد خالية من كل تصور بعيد يحتمل الشك في مواردتهِ ولولا ذلك لما تجرأ صاحبها على اثباتها على صفحات الرئيس

اما موافقة الكلام المقصود في اللفظ والمعنى او المعنى فقط فتكون من المحسنات اذا جاءت لتضمين واستشهاد ولا بد من الاشارة حينئذٍ عند فقد القرينة . وقد تكون جائزة متى صار المعنى مطروقًا نظير قول اسعدنا

لولا تحدّث عن جهنم زفرتي لروت دموعي حادث الطوفان

فهو مأخوذ من قولهِ

ولولا دموعي احرقتني زفرتي ولولا زفيري اغرقتني دمعتي

وقد تكون لغير علة سوى الترفع لمقام شاعر آخر فيسمى سرقة او انتحالاً

هذا ما رأيت اثباتهُ عن موافقة الكلام ومواقعهِ الممكنة وضروب البديع المتنوعة فيها

بيروت جبران لُبُس

(المقتطف) ويلي ذلك كلام لا محل لهُ هنا لان غرض صاحب المقالة السابقة تقبيح الانتحال من حيث هو لا الغض من كرامة كاتب بعينهِ والأَصحّ ان يقال عن كل كاتب ما قالهُ السيد المسيح لتلامذتهِ من كان منكم بلا خطيئة فليرمها اولاً بحجر. وحبذا لو وضع حضرة الكاتب يدهُ في يد حضرة المنتقد وتضافرا على تقبيح الانتحال من حيث انهُ اعتداءٌ على ما للغير فان من ينظم بيتاً نظم مثلهُ شاعر قبلهُ لا يضرُّ احداً غير نفسهِ اذا فعل ذلك متعمداً السرقة بانحطاط مقامهِ بين الشعراء واما من يأخذ مقالة انشأتها في موضوع ادبي او علمي او صناعي ويدعيها كما فعل بعض الذين جمعوا كتباً من مجلات غيرهم واتجروا بها فهو لصٌّ لانهُ قصد ان يغتني على نفقة غيرهِ

نظر في الانانيَّة

حضرة صاحبي المقتطف الاكرمين

بينما انا اراجع اعداد المقتطف لسنة ١٩٠٠ سررت جدًّا بمقالة صديقي العزيز فارس افندي الخوري "الغيرية" وكذلك سؤَال خليل افندي ثابت وجوابكم لهُ من جهة مخادعة الانسان الحيوان الخ . ولقد عجبت من فرط اللذة العقلية وسموها ولا ريب عندي في انهُ لو ذاقها المتهافتون على الشهوات البدنية لفضلوا الافلاع عنها الى هذه

ولما كنتم احوط من غيركم علماً باهمية هذه المواضيع تجرأت ولو بقليل اهلية للمثول لديكم ولدى القراء الكرام بهذه السطور

واوَّل شيءٍ اثبتهُ في هذه الرسالة هو استحساني هذا المبدأ في رسالة صديقي الغيرية "ان الفرد غاية نظام الحضارة" وأُؤَكد ان هذا هو الاساس الصحيح الوحيد في فلسفة العمران لان الهيئة مع سموها وفرط اهميتها لم توجد الا لمصلحة الفرد

ثم ابسط استحساني لهذا المبدإ السبنسري وهو "ان الانانية هي الناموس الاساسي الوحيد الكامن في الطبع البشري" وان شئت فقل الطبع الحيواني لان الناموس العامل في الاثنين هو واحد من هذا القبيل . ولقد انطبقت شواهد الكاتب كل الانطباق على المبادئ الاساسية التي بنى عليها . لاننا نرى مجاري الامور في الصناعة والزراعة والسياسة وغيرها متجهة

بالاستقامة نحو الفردية اما رأساً او بالواسطة لان المنافع العمومية متوزعة على الافراد

على اني رأيت في جوابكم وفي مقالة العزيز فارس افندي موقع نظر وهو الفرق بين الحاصل والمطلوب كما اني رأيت في اعتراض خليل افندي وجوابكم مشاكلة بين الحاصل والواجب

اما قول حضرتكم في ان الايثار ناموس طبيعي . فهو محط نظري . لان الناموس الوحيد الذي يسوس الطبع الحيواني هو حب الذات — الانانية — اما الايثار فهو حاصل غير مقصود بالذات وقد قادت اليهِ الانانية وذلك يتضح من نفس الاساس الذي بنيتم حكميكم عليهِ بقولكم " وفي ما ترونهُ من ايثار الام طفلها عليها سواء كان في الانسان او في العجماوات دليل على ان الايثار ناموس طبيعي " واني افند ذلك من قولكم "طفلها" ان الام تؤثر طفلها على نفسها . فالايثار واقع ليس على الطفل بل على "ها" من طفلها والضمير راجع اليها . والأ فهل يفضل الرجل والمرأة طفل الغير عليهما . لا لا — . فكلام سبنسر اوفى بالغرض من كلامكما اذ قال " ان الغيرية كانت من فجر الحياة لازمة كالانانية والانانية متوقفة عليها كما هي متوقفة على الانانية " فمهما قلبت هذا الكلام لا يخرج عن حدود الحكمة والضبط . فان الحيوان نفساني وهو وكل ما فيهِ يدور على حب الذات . وان تبادل المصالح بين افراد النوع انما يدور على محور الذات . فان الحائك لا يعطي الزارع نسيجهُ الأ طمعاً بالحبوب التي يضطر اليها لقوام حياتهِ . وقس على ذلك كل المصالح المتبادلة

فلا نقدر ان نثبت الغيرية هنا بان القصاب يفضل غيرهُ على نفسهِ بانهُ يبيعهُ اللحم . لان الانانية قادتهُ الى ذلك . كذلك ايثار الوالدين طفلهما على انفسهما انما هو من باب حب الذات والخلاصة اننا مهما بحثنا في امور الحيوان لا نجد ناموساً يديرهُ الأ حب الذات الانانية . وقد اشترك معكما فارس افندي في مقالة الغيرية في هذا المبدإ اذ خلط بين الحاصل والمطلوب بقولهِ في صفحة ٢٠٦ " ان كل فرد يدفع من قوتهِ جزءًا غير يسير لاجل اقامة النسل اولاً في التوليد " . والمتأمل قليلاً يرى ان التوليد حاصل بفعل الحيوان ولكنهُ غير مقصود منهُ اساسياً . لان عمل الحيوان منساق بدافع اللذة وهو ينفق قسماً من قوتهِ لا حباً بالتوليد بل حباً بقضاء شهوتهِ . ولم يكن يعلم ان ذلك يؤدي الى التوليد الأ بعد حصولهِ . وهب انهُ عرف ذلك وقصدهُ فهو لا يزال منقاداً اليهِ بالانانية لانهُ يعلم ان التوليد يعود عليهِ بالخير . وهذا عندي من الدلائل على وجود عقل يسوس الطبيعة وهو واحد من ادلة كثيرة اراها واضحة وضوح الصبح لذي عينين . وذلك العقل الازلي قرن المنافع بالملذات لاجل حصولها .

فترى الحيوان منساقاً الى الاعمال بدافع الانانية ونتيجة عمله دوام العمران والنظام . فانَّ حب الذات قاد الى انتظام العائلات المدنية وذلك لاجل انتظام العمران . ألا ترى النحل يلامس الازهار رغبةً في حلاوتها ولكنهُ بذلك ينقل اللقاح من ذكور الازهار الى اناثها . افنقدر ان نقول بفضل النحل وغيريتهِ حبًّا بتوليد الازهار . وعلى هذا النحو ارى عمل التوليد في كل انواع الحيوان ومن جملتها الانسان فتوليده لا يبرهن غيريتهُ على الاطلاق بل كل شيء فيهِ حتى التدين محصور في انانيتهِ . ولقد احسن صاحب الغيرية واي احسان بتوجيههِ الخطاب في صفحة ٥٠٧ وما يليها الى النقطة المركزية في دائرة البحث وهي الفضيلة العملية وقد جمع القواعد العملية في الصفحة ٥١٠ بقولهِ "على الفرد ان يكون (١) قواماً بالقسط (٢) داعياً الى العدل والاستقامة . وعندي ان هذا هو الانسان كلهُ

على انهُ اتسع المجال هنا لخليل افندي ثابت في اعتراضهِ وجوهرهُ اذا كانت الانانية الناموس الوحيد في الطبع الحيواني واذا جاز للانسان مخادعة الحيوان والنبات فلماذا لا يجوز لهُ مخادعة الانسان وقتلهُ في سبيل انانيتهِ . قال ذلك استناداً على ناموس التنازع وبقاء الانسب . ويلوح للمطالع ان ذلك من المشاكل . قال " فاذا صحَّ ما تقدم كان الانسان غير مخيَّر في اكتفاء مطامعهِ وشهواتهِ " وقد أيَّد ذلك في الصفحة ٥٠٩ " ان الانسان غير ممتاز في عين الطبيعة عن الحيوان " وهذا لا ريب فيهِ

ومقياسهُ هو هكذا ١ الانسان حيوان ٢ الناموس العام الانانية ٣ النتيجة انهُ يجوز للانسان مخادعة غيرهِ . وارى ان القسم الاغلب جارٍ في سلوكهِ اليومي على هذا القياس وسبب هذا السقوط هو خلط الحاصل بالواجب . كما خُلِط فيما سبق بين الحاصل والمطلوب . اما ناموس التنازع فحاصلهُ كما استنتج المعترض بدون ريب . ومتى صار ناموس التنازع اساس الآداب لا ارى مانعاً من مخادعتنا غيرنا من البشر . ولكن المسألة ادبية لا طبيعية . والآداب لا تبنى على نواميس الطبيعة لان الطبيعة قد سفلت بالشوق الى ما يخرج بها عن دائرة المصلحة الشخصية . ألا ترى ان السكير والزاني يضران بنفسيهما انقياداً للشهوة وقد صحَّ فيهما قول افلاطون اذا ادبرت الحكمة خدمت العقول الشهوات . " نعم ان الانسان غير مخيَّر " كما قال خليل افندي ولكن ذلك من قبيل الواقع لا من قبيل النافع . وما احسن القول ان الجاهل عدو نفسهِ . اما سؤال حضرتهِ فهو ايٌّ انفع لبقاء الانسب . والحاصل ان في الطبيعة نقصاً ادبيًّا يجعل اختياراتنا محصورة في دائرة الانانية

ان الانسان بسبب فسادهِ استعبد للذة ولكن طبيعة العمران لم تشاركهُ في ذلك السقوط

فلا تزال مؤسسة على الحق . وهذا من مؤيدات قولي بوجود عقل يسوس الطبيعة . فلا تزال الفضيلة انفع من الرذيلة مع ان الثانية اكثر دوراناً في الحياة البشرية

فالاستناد على ناموس التنازع في الادبيات هو في غير محلهِ . لان الطبيعيات موضوع سافل خالٍ من الغاية وهي محصورة "في الواقع" فالطبيعيات ترينا ما هو جارٍ لا ما هو واجب اذ لا غاية في سيرها . فالكواكب تجري في افلاكها مقسورة . وكذا المد والجزر والظواهر الجوية والجذب والدفع وتعاقب الفصول وكذلك ازهار الربيع ومعاء الاغنام وتغريد الاطيار والمزاوجة وكل الاعمال الحيوانية الطبيعية . اما الآداب فمبنية على ما هو اسمى من ذلك مبنية على الغاية وضابطها الواجب . وقد يكون الواجب عسر الوصول اليهِ لكنهُ لا يزال اساس الالتزام . وجواباً لسؤال خليل افندي يقال

ان العقل الذي يسوس الطبيعة عيَّن لكل نوع من المخلوقات غاية ينتهي القصد منهُ بحصولها . فغاية نبات الربيع تتم بحصولهِ وعندئذٍ لاجرم اذا جززناهُ وغاية الاطيار والاسماك والحيوان خدمة الانسان وبخدمتها تتم الغاية بوجودها فيستخدم الحمار والحصان والكلب في حاجاتهِ بحياتها كما يستخدم الطير والخروف والسمك في حاجاتهِ بذبحها . ولكن هل غاية الانسان كذلك . أيوجد صف من الناس خلق لاجل غيرهِ . كلاَّ . فلا يجوز للانسان ان يخادع الانسان بل ان يساعدهُ ويرفق بهِ . نعم اذا تخلَّف احد الافراد باخلاق الحية او الذئب فقد خرج عن دائرة الانسانية فوجب اعدامهُ صيانةً لمصلحة الافراد . وليس كذلك المسابقة في الصنائع . اما ناموس التنازع فغايتهُ بقاء الانسب . ولكن لو جعلناهُ اساساً في الادبيات آل الى انقراض الجنس او شقاوتهِ . لانهُ متى ساغ لكلٍّ مخادعة اخيهِ انتفت الامنية وانفرط عقد الاجتماع واندثرت آثار الآداب وتلاشي النوع . ولو كان التنازع العامل الوحيد في البشر لكانت هذه النتيجة هي الحاصل الوحيد . لكن العقل الذي يسوس الطبيعة لهُ مفاعيل اجمالية وفي سير الطبيعة المعوج لاتخرج عن احكام ذلك العقل . وفي نهاية الحوادث البشرية يظهر كمال ذلك العقل

الخلاصة

١َ الانانية هي الناموس الوحيد في الطبع ٢َ الغيرية ضرورية لاجل حفظ الانانية . ٣َ ناموس البقاء يظهر ما هو واقع . ٤َ الآداب مبنية على ما هو واجب ٥َ ذلك الواجب انفع لبقاء الانسب ٦َ هذا عمل الغاية النظام

(المقتطف) وردت الينا هذه الرسالة في العام الماضي بغير امضاء وربما كان فيها

ورقة أُخرى ممضاة ضاعت منها فاخذنا نبحث عن كاتبها لكي ننشرها تحت اسمهِ وكتبنا الى جهات مختلفة نسأل عنهُ فلم نهتدِ اليهِ فرأَينا ان ننشرها هنا حرصاً على ما فيها وعسى ان يطلع كاتبها عليها وعلى هذه السطور فيكرم علينا باسمهِ فننوه بهِ في جزءٍ تالٍ . اما الآراءُ الفلسفية الواردة فيها فسنعود اليها في فرصة اخرى وحسبنا الآن ان نقول ان ما اعترض عليهِ من قولنا وقول صاحب الغيرية هو للفيلسوف هربرت سبنسر نفسهِ

عائشة الباعونية

حضرات الادباء الافاضل اصحاب المقطم والمقتطف الاغر

بعد تقديم واجبات الاحترام واهدائكم اعطر التحية وازكى السلام بينما نحن نبحث بمكتبتنا عن سفر نفيس اذ عثرنا على كتاب عنوانهُ مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج فاخذنا نطالع فيهِ ونقلب صفحاتهِ حتى وجدنا ابياتاً من الشعر الرقيق المنسجم منسوبة لمن تدعى عائشة الباعونية وفيما نظن انها كانت تزاحم شعراء عصرها المجيدين في فن القريض مثل المتنبي والبحتري وابي تمام وغيرهم فمن قولها في البديعيات الشعرية كالطباق :

هان السهاد غراماً فيهِ اقلقني شوقي وعزَّ الكرى وجداً فلم انمِ

وكالتصدير نحو :

لم يا عذولي وشاهد حسنهم فاذا شاهدتهُ واستطعتَ اللوم بعدُ لم

وكالقلب نحو :

ابن انل عرفن فرّع لنا نبأً من الملام وحشّهِ بوصفهم

وكقولها واستوطنوا السر مني وهو منزلهم ولا افوه بهِ يوماً لغيرهم

وكل بيت من هذه الابيات يشهد بطول باعها وسعة اطلاعها ومبلغ تقدمها في فن الادب ولها ابيات اخرى متينة النظم رقيقة الالفاظ خالية من التنافر والتعقيد وكل ما يخل بفصاحة شعرها وبليغ قريضها

ولما كان الشعر نفثة روحانية تمتزج باجزاء النفوس ولا تشعر بهِ غير النفوس الزكية اختارت الحقيقة بيتاً من الشعر لتشرق منهُ على الكون بانوارها الباهرة رأينا في شعر الفاضلة عائشة الباعونية تلك النفثة الروحانية وشاهدنا الحقيقة تشرق من ابياتها والمحاسن البديعية وتتجلى في منظوماتها ولا بد انها ضارعت فحول معاصريها من الشعراء الذين تحلى بهم جيد القريض واخرجوهُ من ظلمات الخفاء الى انوار الظهور لذلك اطلنا البحث في الكتب التي عندنا

فلم نعثر على تاريخ حياتها بل غاية ما وقفنا عليهِ هو عهد منظوماتها وبما اننا نعهد فيكم سعة الاطلاع اتيناكم بهذه السطور راجين افادتنا عن تاريخ هذه الفاضلة وهل لها مؤلفات مطبوعة او بديعيات مدونة في غير الكتاب الذي عندنا ولا بأس من نشر هذه العبارة برمتها في مقتطفكم الاغر لعلنا نجد من يدلنا على تاريخ ضالتنا المنشودة وفي الختام تفضلوا بقبول فائق احتراماتي الودية سليم صادق

بكفر كلا الباب

(المقتطف) جاء في دائرة المعارف انها "بنت يوسف بن احمد بن نصر الباعوني . اديبة فاضلة وكاتبة عاقلة توفيت في القرن العاشر للهجرة وكانت من نوابغ زمانها علماً وادباً حتى لقد فضلوها بين المولَّدين على الخنساء بين الجاهليين ووصفها عبد الغني النابلسي وغيرهُ من العلماء فاطروا علمها وادبها . حضرت الفقه والنحو والعروض على جملة من مشايخ عصرها مثل جمال الحق اسمعيل الحوراني واخذ عنها كثير من العلماء . وقد الفت وصنفت نظماً ونثراً الاَّ انها كانت اميل الى النظم منهُ الى النثر ومن تآليفها مولد جليل للنبي (صلعم) ولها ديوان شعر بديع في المدائح النبوية ولها نظم كثير غيرهُ فمن ذلك قولها في الغزل

كانما الخال تحت القرط في عنق بدا لنا في محيا جلَّ من خلقا
نجم غدا بعمود الصبح مستتراً خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

وانما معظم شهرتها ببديعيتها المشهورة التي سارت بذكرها الركبان ولها عليها شرح بديع سمتهُ بالفتح المبين في مدح الامين نظمتها على منوال بديعية تقي الدين بن حجة مع عدم تسمية النوع الاَّ قليلاً حفظاً لانسجام النظم . وقد شرحتها ايضاً بشرح آخر مختصر . والبديعية المذكورة في ١٢٨ بيتاً مطلعها :

في حسن مطلع اقمارٍ بذي سلمٍ اصبحتُ في زمرة العشاق كالعلمِ

وختامها :

مدحت مجدك والاخلاص ملتزمي فيهِ وحسن امتداحي فيهِ مختتمي"

ونقلت لها صاحبة الدر المنثور قولها في جسر الشريعة لما بناهُ الملك الظاهر برقوق وهو

بنى سلطاننا برقوق جسراً بامرٍ والانام لهُ مطيعه
مجازاً في الحقيقة للبرايا وامراً بالمرور على الشريعه

وقد قالت الدائرة انها توفيت في القرن العاشر وجرت على ذلك صاحبة الدر المنثور لكن البيتين المتقدمين يدلاَّن على انها كانت في عهد السلطان برقوق وكان الملك الظاهر برقوق

في القرن الثامن وتوفي في العام الاول من القرن التاسع ولم تطل مدة ولديهِ الا اذا كانت قد نظمتهما بعد عهدهِ بمئة عام

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطفل لدى الولادة

ترى في احصاء الوفيات فرقاً كبيرًا بين المدن الشرقية والغربية فبينما يكون متوسط الوفيات في القاهرة مثلاً ثلاثين او اربعين في الالف سنويًّا يكون في لندن وباريس نحو عشرين في الالف . بل ترى فرقاً كبيرًا في المدن الشرقية بين احياء الوطنيين والاجانب ففي احياء الوطنيين يكون متوسط الوفيات ثلاثين او اربعين او اكثر واما في احياء الاجانب فيكون عشرين او خمساً وعشرين في الالف واذا دققت النظر وجدت ان الزيادة ليس في من يموتون شباناً وكهولاً بل في من يموتون اطفالاً ولولا زيادة المواليد بين الوطنيين عليها بين الاجانب لما كنا نرى عدد السكان في ازدياد كما هو الآن

وكثرة وفيات الاطفال ناتج بعضها عن كثرة من يولد منهم لان كثرتهم في بيوت الفقراء تقلل حيل الوالدين في الاعتناء بهم وبعضها عن جهل طرق العناية والوقاية من الامراض . وقد تألفت جمعية من السيدات الانكليزيات سعت في تاليف كراريس صغيرة ونشرها بثمن بخس تعلّم النساء بها كيف يعتنين باطفالهنَّ وبيوتهنَّ وبانفسهنَّ . وادرجت في احداها النصائح التالية للوالدات من حيث الاعتناء باطفال وهي

(١) يجب ان لا يعرَّض الطفل للبرد حينما يولد بل يلفُّ بلفائف دافئة حتى لا يشعر جسمهُ باختلاف كثير بين حرارة المكان الذي كان فيهِ والمكان الذي خرج اليهِ

(٢) يفرك بقليل من السمن النقي او الشحم النقي في ابطيهِ وحقويهِ وطيات جلدهِ تسهيلاً لنزع المادة الجبنية التي يولد وجسمهُ مغطًّى بها كثيرًا او قليلاً

(٣) يغسل بعد ذلك بالماء الفاتر وقليل من الصابون النقي . ويجب ان يسرع في غسلهِ

ما امكن حتى لا يبرد جسمهُ وان يكون ذلك في غرفة مقفلة الكوى حتى لا يتعرَّض لمجرى الهواء وتغسل عيناهُ جيدًا من العماص وكل ما يلصق بهما قبل غسل بدنهِ ومتى غسل بدنهُ يحترس لئلاَّ يدخل الماءُ الذي غُسل بهِ بدنهُ في عينيهِ . والاسفنجة او الخرقة التي يغسل بها مرةً لا يغسل بها مرةً اخرى الاَّ بعد تنظيفها وتجفيفها

(٤) يحسن بالمرأة ان تغسل طفلها بعد ذلك مرتين كل يوم مرةً في الصباح ومرةً في المساء بماءٍ فاترٍ حرارتهُ كحرارة جسمهِ تضعهُ في اناء الماء وتفركهُ بخرقة ناعمة جدًّا بعد ان ترغي عليها قليلاً من الصابون الجيد ثم تنشفهُ بمنشفة ناعمة وتفرك بدنهُ بها جيدًا حتى تدب الحرارة فيهِ

(٥) لا بدَّ من تقميط الطفل حينما يولد بقماط من الصوف الناعم يلف حول بطنهِ حتى يحفظ حبل سرتهِ في مكانهِ الى ان ينقطع ويجب ان تكون حافات القماط ذات هدب ليّن لئلاَّ تجرح جلد الطفل

(٦) من العادات الضارة ان يضغط على يافوخ الطفل وان يعصر ثدياهُ حتى يخرج اللبن منهما فيجب الابتعاد عنهما كليهما

(٧) اذا ظهر تسميط في الطفل اي شيءٍ من التقرُّح في فخذيهِ او تحت ابطيهِ او بين طيات لحمهِ يذر على مكان التسميط قليل من النشا الناعم جدًّا اي يوضع هذا النشا في خرقة رقيقة ناعمة حتى ينخل النشا منها ويضرب بها مكان التسميط فينخل النشا عليها ناعمًا

مكتب الزوجة

يقرأ هذا الباب كثيرات من السيدات اللواتي بيوتهنَّ كبيرة ولربة البيت منهنَّ غرفة للنامة وغرفة بجانبها تجلس فيها وتستقبل صديقاتها وفي هذه الغرفة تضع مكتبها حيث تكتب مكاتيبها واوراقها والغالب ان تضع فوق المكتب خزانة صغيرة للكتب التي تقرأها ويكون فيهِ ادراج لمكاتيبها والنقود التي توفرها من مصروف بيتها ولكن ما كلُّ ربة بيت من قارئات المقتطف يكون لها غرفة استقبال خاصَّة فتضطر ان تضع مكتبًا صغيرًا في الغرفة التي تنام فيها ولو في زاوية منها . والطاولة البسيطة تفي بذلك بشرط ان تدهن دهانًا مناسبًا . ويحسن ان تسترها من الاسفل بستارين على جانبي كرسيها تضع داخلهما ما لا تريد اظهارهُ كالاحذية ونحوها

متى رأى الاولاد امهم تقرأ وتكتب منذ طوليتهم شبوا راغبين في القراءة والكتابة والعلم والتهذيب ونمت فيهم هذه الرغبة بتقدمهم في السن

خلع الثياب

سمعنا امرأَة تمدح ابنها وتقول انهُ على غاية الترتيب لانهُ يخلع ثيابهُ في المساء ويطويها ويضعها بعضها فوق بعض . والمدح في محلهِ من حيث الترتيب ولكنهُ ليس في محلهِ من حيث الصحة ولو عرفت امهُ ان ترك الثياب منشورة مدة الليل خير للصحة من طيها ووضعها بعضها فوق بعض لعلمتهُ ذلك وكان يفعل امرًا آخر مفيدًا ومرتبًا في وقت واحد وهو ان ينشر ثيابهُ على كرسي امام شباك مفتوح ويقلب الجواب وينشرها على كرسي آخر حتى يحركها الهواء الليل كلهُ فانهُ يزيل ما فيها من الغازات ويطهرها على نوع ما . واذا خلعت المراة ثياب السهرة او الزيارة وجب عليها ان لا تعلقها في خزانتها حالاً بل ان تنشرها على كرسي ساعةً او ساعتين الى ان يجف عرقها عنها وتزول الغازات منها بتخلُّل الهواء النقي لها ثم تعلقها في خزانتها .

غسل شعر الرأْس

اذا كان الماء قاسيًا لا يرغي فيهِ الصابون بسهولة تضاف اليهِ ملعقة من البورق ويغسل الشعر بهِ وبالصابون . ثم يغسل بالماء وحدهُ مرارًا حتى يزول منهُ كل اثر للصابون وينشف بمناشف كثيرة ويترك مسدولاً على الظهر ساعة او ساعتين حتى يجف واذا كان غزيرًا وعسر تنشيفهُ يلف بمنشفة كبيرة حتى يصير بها كالعامة على الراس ولا يحسن غسل شعر الراس والنوم قبلما يجف ولا يحسن ايضًا جدل الشعر او عقصهُ وهو رطب لئلاَّ يعفن

قصاص الاطفال

لا تزال العادة المتبعة عندنا ان يقاص الاولاد بالضرب وكل حكيم منا يقول لا تمنع العصا عن ابنك لكن العلم والاختبار يدلاَّن على ان الضرب بالعصا مضر وتحصل الفائدة المطلوبة من القصاص الذي لا يضرُّ الطفل وهو ان تتغاضى عنهُ وتتظاهر بانك لم ترهُ او لم تلتفت اليهِ حينما يذنب بل تتركهُ الى فرصة اخرى وتذكر لهُ ذنبهُ وتبين لهُ ضررهُ واذا كان لا بدَّ من قصاصهِ فقاصهُ بمنعهِ من اكل الحلوى مثلاً مرةً ما او من اللعب في ساعة معينة

الاعتناء بالشعر

الشعر آية الجمال ولا تلام المرأَة اذا اعتنت بشعرها بل تلام اذا اهملت الاعتناء بهِ . ومن اول طرق الاعتناء غسل الراس بالماء الفاتر او البارد قليلاً مرةً او مرتين في الاسبوع ثم

تنشيفهُ بنشفة كبيرة ويحسن ان يدهن مرةً او مرتين في الاسبوع بالسوائل التي توصف لتقوية الشعر

ولا بدَّ من ان يكون المشط كامل الاسنان صقيلها والاَّ قطَّع الشعر تقطيعاً او اقتلعهُ من اصلهِ وكذلك يجب ان تكون فرشاة الشعر ناعمة لينة لا تعلق بهِ ولا تقتلعهُ

زيت الزيتون النقي المطيب بمادة عطرية من اجود ما يكون لتقوية الشعر فيفرك الراس بقليل منهُ مرةً في الاسبوع اي يفرك الشعر وجلد الراس جيدًا ويزال الزائد منهُ بفركهِ بنشفة . واذا كان الشعر كثير الجفاف فلا بأْس بفركهِ بالزيت مرتين او ثلاثًا في الاسبوع

اذا ارادت المرأة ان يبقى شعرها غزيرًا وجب عليها ان تقص رأسهُ ولا تدعهُ يطول كثيرًا لانهُ اذا طال عن وسطها فالغالب انهُ يضعف ويسقط بعضهُ فيخف . وهذه الاحكام كلها تصدق على شعر اللحية والشاربين كما تصدق على شعر الراس

الصلع الباكر

يظهر الصلع احيانًا في صغار السن فيجب ان تفحص فروة الراس ببلورة كبيرة مما يكبّر صور الاجسام فاذا ظهر ان الوبر موجود في جلدة الراس تعالج بالعلاج التالي وهو اوقية من الذرَّاح واربعون اوقية من السبيرتو واوقية من زهر الكبريت وثماني اواقي من الغليسرين يوضع قليل من هذا المزيج على جلدة الراس حيث ظهر الصلع وتفرك بهِ جيدًا ويترك عليها ولا بدَّ قبل وضعهِ عليها من غسلها بماء حار وتنشيفها جيدًا ومتى ابتدأ الشعر ينمو يدهن بالدهان التالي بدل الدهان الاول وهو مركب من ٢/١ اوقية من ماء الامونيا و ١٠ اواقي من السبيرتو وربع اوقية من زهر الكبريت ونصف اوقية من الذراح واوقيتين من الغليسرين و٤/١ اوقية من فصفات الجير ونصف اوقية من صبغة السنكونا . واذا ظهر ان هذا الدهان يهيج جلدة الراس كثيرًا يضاف اليهِ مقدارهُ من الماء والغليسرين

تسكير الاثمار

انتقِ الاثمار الجيدة من الكمثرى ونحوهِ واسلقها قليلاً في ماء نقي وضعها في شراب ثخين جدًّا واتركها فيهِ يومين ثم صفّ الشراب عنها فتجدهُ قد سال كثيرًا بعد ان كان كثيفًا فاغلهِ حتى يكثف واعد الاثمار اليهِ وسخنها فيهِ واتركها اربعة ايام وهي فيهِ وكرّر تسخين الشراب ورد الاثمار اليهِ حتى لا يعود يسيل فانزع الاثمار منهُ وجففها في الشمس او فوق نار خفيفة جدًّا ويحسن ان تذر عليها سكرًا ناعمًا حتى يسرع جفافها ثم توضع في العلب المعدَّة لها فيتبلور السكَّر عليها بعد ذلك

باب التقريظ والانتقاد

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي

نشكر لحضرة الفاضل مصطفى افندي القباني سعيهُ في طبعهِ الكتب القديمة ونشرها . ولكن ما كل الكتب مما يحسن نشرهُ في هذا العصر الذي تراعى فيهِ حرمة الاديان ويكتفى باقل الضررين . ويظهر لنا ان هذا الكتاب مما يحسن العدول عن نشرهِ والاَّ فحذف بعض فصولهِ او فقراتهِ قبل نشرهِ كقولهِ في الصفحة ١٩ وما يليها " ان اليهودي والنصراني كافران وكذا البرهمي والدهري وان الكفر حكم شرعي معناهُ اباحة الدم والحكم بالخلود في النار" فان الحكم بان اليهود والنصارى والبراهمة والدهريين كفرة دمهم مباح ليس مما ترضى حكومة اسلامية بنشرهِ في هذا العصر ولا هو مما لا بدَّ من نشرهِ في هذا الكتاب بل هو مما يمكن الاستغناءُ عنهُ فيهِ وتبقى فصول الكتاب على حالها من حيث سوق الادلَّة والنتائج

الانصاف

للامام ابي محمد عبد الله البطليوسي وقد اعتنى بتصحيحهِ وشرح ابياتهِ وضبط كلماتهِ اللغوية حضرة الفاضل احمد افندي عمر المحمصاني الازهري

قال المصحح في ترجمة المؤَلف انهُ كان اماماً في علوم اللغة والادب سكن مدينة بلنسية من جزيرة الاندلس وكان حسن التعليم جيد التفهيم ولهُ نظم حسن ومولدهُ سنة ٤٤٤ بمدينة بطليوس ومن مؤَلفاتهِ كتاب المثلث وكتاب الاقتضاب في شرح ادب الكتَّاب لابن قتيبة . وكتاب شرح الموطإِ وشرح ديوان المتنبي وكتاب الانصاف هذا

وموضوع هذا الكتاب كما قال المؤَلف اسباب الخلاف الواقع بين الامَّة حتى صار من فقهائها المالكي والشافعي والحنفي والاوزاعي ومن ذوي مقالاتهم الجبري والقدري والمشبه والجهمي ومن شيعتهم الزيدي والرافضي والسبئي . ثم قال ان الخلاف عَرَضَ من ثمانية اوجه الاول اشتراك الالفاظ والمعاني والثاني الحقيقة والمجاز والثالث الافراد والتركيب والرابع الخصوص والعموم والخامس الرواية والنقل والسادس الاجتهاد في ما لا نصَّ فيهِ والسابع الناسخ والمنسوخ

والثامن الاباحة والتوسُّع . ثم فصَّل هذه الاوجه تفصيلاً مسهباً الاَّ الاخيرين فانهُ لم يفصلهما كما فصَّل سائر الابواب بل ادمجهما في صفحة واحدة

الجراد والنمل الابيض والبعوض

LOCUSTS, WHITE ANTS & MOSQUITOS.

مقالات نشرتها حكومة السودان باللغة الانكليزية بعد ان انتدبت من بحث بحثاً دقيقاً عن هذه الحشرات في بلادها فذكرت فيها طبائع كلٍّ منها والوسائل الفعَّالة لاهلاكهِ. ومما يفيد ذكرهُ من الوسائل المستعملة لاهلاك الجراد المرض الفطري الذي اشرنا اليهِ غير مرة في صفحات المقتطف وقد نجح استعمالهُ في استراليا وهاك الطريقة التي يستعمل بها هناك "يربى هذا الفطر في المعمل البيولوجي على الجلاتين ويرسل الى العمال في انابيب صغيرة من انابيب الكشف . ويغلي العامل ماء يملأ كاساً ويتركهُ حتى يفتر ثم يمزجهُ بالفطر الذي في انبوب الكشف ويضيف اليهِ ملعقة صغيرة من السكَّر وقطعاً صغاراً من الفلين بعد ان يضعها في ماء غالٍ . ويغطي الكاس ويتركها ٢٤ ساعة فيتولَّد مادة غروية على قطع الفلين . ويمسك بعض الجراد الحي بشبكة ويدهنهُ بما في الكاس ويتركهُ حتى يطير وينشر العدوى بين بقية الجراد . وقد وجد في استراليا ان الكاس الواحدة تكفي لتلطيخ الف جرادة بجراثيم العدوى فلا بدَّ من انها تعدي الوفاً والوف الوف من الجراد

مرشد مأموري الضبطية القضائية

في ضبط الوقائع الجنائية

وضع هذا الكتاب حضرة الفاضل محمد افندي صبري عضو النيابة بمحكمة الزقازيق وقال في مقدمتهِ انهُ لما رأى رجال الضبطية القضائية وعمد البلاد يعهد اليهم بتحقيق بعض القضايا الجنائية ولم يرَ في ايديهم كتاباً في كيفية التحقيق يستعينون بارشادهِ ويهتدون بنارهِ الى السلوك في هذه الطرق المتعبة والسبل الملتوية وضع لهم هذا الكتاب المختصر القريب التناول . جمعهُ من بعض الشروح الفرنسوية واضاف الى ذلك بعض الوقائع الجنائية وما لا بدَّ منهُ من قانون العقوبات

والكتاب حسن التبويب واضح البيان لا غنى لمأموري الضبطيَّة القضائية عنهُ فنشكر لحضرة مؤلفهِ شكراً جزيلاً

الواسطة ورفع الملام

للامام ابن تيميَّة المتوفى سنة ٧٢٨ هجرية. ذكر المؤَلف في الكتاب الاول اي الواسطة بين الخلق والحق مسأَلة قال فيها ان رجلين تناظرا فقال احدهما لا بدَّ لنا من واسطة بيننا وبين الله فانَّا لا نقدر ان نصل اليهِ بغير ذلك ثم وضع هذه الرسالة في الجواب عنها وخلاصة جوابهِ انهُ اذا اريد بالواسطة تبليغ امر الله الى العباد فذلك حق . واذا اريد بالواسطة انهُ لا بدَّ من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسأَلونهُ ذلك ويرجون اليهِ فهذا من اعظم الشرك الذي كفَّر الله بهِ المشركين . واثبت هاتين القضيتين بآيات كثيرة واحاديث عديدة وحسب الحلَف بغير الله شركاً لقول الرسول "مَن حَلف بغير الله فقد اشرك"

الآَّ ان من يقرأُ الكتاب الثاني الموسوم برفع الملام عن الائمة الاعلام يحسب ان مؤَلفاً اخر الَّف هذا للدفاع عن الذين يحللون بعض الاحكام الشرعية كاستشفاع الانبياء وزيارة اضرحتهم لان الفاعل لذلك اما مجتهد او مقلد وكلاهما خارج عن العقوبة . ولكنهُ اذا اتمَّ الكتاب الثاني وجد ان المؤَلف يحتم باتباع الكتاب كلهِ والسنة كلها

المصوَّر

المصور اول جريدة عربية ظهرت بصور ملونة ولو طبعت صورها في هذا القطر لحقَّ لنا ان نفاخر بها اكثر الجرائد المصورة في المسكونة لكن صورها تطبع على الورق في باريس على ما يظهر ثم يرسل الورق الى مصر لتطبع الجريدة عليهِ . هذا من حيث صورها اما موضوعها فسياسي ادبي وقال حضرة منشئها ان مذهبهُ في السياسة ان لا يميل مع غاية ولا ينطق عن هوًى بل يقول الحق في كل حال وقدَّم على ذلك قولهُ "ان صعود فرنسا في سلَّم القوَّة والنفوذ يعادل نزول انكلترا في هذه السلَّم نفسها" واتبعهُ بقولهِ "ولكن ما تفعل بالانكليز والشغل دينهم والكسب عبادتهم" تفسيراً لقولهِ ان مدام كولمان الانكليزية اشترت الفتاتين الهنديتين الملتصقتين واتت بهما الى اوربا " ولسوء حظهما ان هواء اوربا والصفة التي كانتا تعيشان فيها تحت ولاية تلك السيدة الانكليزية كانا عكس ما يلزم لمزاجهما"

ولو سأَلت الانكليز كيف ملكتم ما ملكتم من المسكونة لاجابوك اننا ملكنا اكثرهُ باغراء الناسِ سكانهُ ببغضنا وايغار صدورهم علينا حتى يستحكم الجفاء بينهم وبيننا ونلجأَ الى القوة. وطبع المصور متقن مثل صورهِ ولغتهُ فصيحة وهو مدبج بقلم منشئهِ الاديب خليل افندي زينيه

التربية

هو خلاصة من نفثات ادباء الفرنسيس لخصهُ الى العربية الاديب الفاضل الياس افندي مارون مدلج وفيهِ كلام موجز في كثير من المباحث العلمية والادبية كالهضم والنوم والعقل وفي اخرهِ فصل صحي كبير الفائدة لحضرة الدكتور امين افندي الجميل . وفوائد الكتاب كثيرة وحبذا لو ترك حضرة معربهِ الكلمات اللغوية كقولهِ في الكلام على الاعتناء بالاسنان " انك ان رضخت باسنانك الجوز و اللوز اوغير ذلك من نوى الاثمار اوهشمتَ الخبز هتمت ميناء اسنانك ومتى انكسرت فانك تتهمم عبثاً جمع اشتاتها وجبر صدعها " . وقد فسَّر هذه الكلمات في الحاشية ولكن استعمال المألوف اولى في الكتب التي يراد بها تعميم الفوائد

الابريز

في لغتي العرب والانكليز

هو ترجمان لتعلُّم اللغة الانكليزية يمتاز على اكثر التراجمة المشهورة بان كلماتهِ الانكليزية مكتوبة بحروف عربية ايضاً . يبتدئ بفصول المفردات وينتهي بمذاكرات ومحاورات وقد طبع في المطبعة الادبية في بيروت على نفقة نخله افندي قلفاط وسليم افندي مبداني وهو يباع في الاسكندرية عند الخواجه جرجي غرزوزي وثمنهُ ثلاثة فرنكات

التأسيس في المقاييس

مجموعة مفيدة في المقاييس والموازين المستعملة في القطر المصري الفها حضرة ابرهيم افندي رحمي مدرس الرياضيات بمدرسة قويسنا التابعة لجمعيَّة المساعي المشكورة ووضع فيها قواعد بسيطة للتحويل ومسائل كثيرة للتمرين فنثني على همتهِ ونتمنَّى ان ينتفع الطلبة بها

الدروس العروضية

كتاب وجيز في فن العروض الفهُ حضرة الاديب مصطفى بن محمد سليم الغلاييني البيروتي. وضعهُ على طريقة السؤَال والجواب وألحق كل درس منهُ بمسائل كثيرة لتمرين الطلبة وعلق عليهِ حواشي لايضاح الغامض وشرح المبهم والتوسُّع في ما لا داعي للتوسُّع فيهِ في المتن فنثني على حضرتهِ ونتمنى لكتابهِ الانتشار التام

حاضر المصريين

او سر تأخرهم

يرد علينا كل شهر كتب مختلفة لننتقدها اولنقرظها وقلَّما نجد فيها كتاباً ألَّفهُ صاحبهُ تأليفاً اوصنَّفهُ تصنيفاً مثل هذا الكتاب فقد عاني مؤلفه الاديب محمد افندي عمر اشد المشاق في جمعهِ وتحبيرهِ لكن هذه المزية الظاهرة لا تذكر في جنب مزية اخرى تحلُّ هذا الكتاب في المحل الاول بين الكتب المؤلفة في العربية والمترجمة اليها فانهُ يبحث في اهم المواضيع الاجتماعية عند ابناء هذا القطر اي في سر تأخرهم . والغرض من هذا البحث اظهار العيوب كما يراها المؤلف وتقبيحها حتى يقلع الناس عنها ويداويها الفضلاء بما يرون لها من الدواء. فهو خادم امين لامتهِ لم يضنَّ في خدمتها بتعب ولم يذخر وسعاً . وطالما رأيناه في غضون السنتين الماضيتين يسأل ويبحث ويفتش وينقب ويقترح ويستعين ويستوضح ويسترشد الى ان تيسَّر لهُ جمع ثلثمئة صفحة مشحونة بحقائق تنقبض لها النفوس وتتفطَّر منها المرائر ولكنها لا تخلو من بوارق الامل ودلائل الرجاء وقدَّم لها مقدمة وجيزة خلاصتها الإخلاص قال فيها

"وضعت كتابي هذا على مثال كتاب (سرّ تقدم الانكليز السكسونيين) المعرب بقلم سعادة العالم القانوني الفاضل احمد فتحي زغلول بك رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية. ولكنهُ مع الاسف يشرح سرّ تأخر المصريين لا تقدمهم. وغاية ما أودُّ ممن يطالع هذا الكتاب ان لا ينظر اليهِ بعين الاستغراب لِما حواهُ من كشف المخبآت ورفع الستار عن المعايب التي في جسم الامة وتؤدي بها الى الهلاك بل ارجوهُ ان يكون على ثقة باني ما كشفت ذاك الستار الاَّ حبًّا بأُمتي وشفقةً عليها لا شماتة علَّنا اذا عُرِف الدآء سارعنا الى اخذ الدواء قبل استفحال الخطب فنندم حين لا ينفع الندم

اذا انت لم تخبر طبيبك بالذي يسوءك أبعدتَ الدواء عن السقمِ

اردت بجمع هذه الادواء التي تضرُّ بصحة امتي ان احث البقية الصالحة من الامة فتهب من غفلتها وتلم شعثها وترأب صدعها وتسد خللها وتبحث عن دواءٍ نافع وبلسمٍ شافٍ تداوي تلك الادواء التي اثقلتنا ونحن عنها غافلون . هذا ما قصدت وانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى"

وقسم مباحث الكتاب الى ثلاثة اقسام الاوَّل الكلام على اغنياء الامَّة والثاني الكلام على اواسطها والثالث الكلام على فقرائها . فتكلَّم في القسم الاول على إسراف الاغنياء في

اعراسهم واهمالهم تربية اولادهم واستغراق هؤلاء الاولاد في الدَّين والاسراف واضاعتهم ما ورثوهُ من آبائهم وخراب بيوت الاغنياء بسبب ذلك . وقد ابان في هذا الفصل انهُ خرب في غضون السنوات الخمس الماضية من بيوت الاغنياء ١٠٠ بيت في القاهرة و٤٢ بيتاً في الاسكندرية و١٤٥ بيتاً في الوجه البحري و٧٦ بيتاً في الوجه القبلي والجملة ٣٦٣ . ومن قرأ الفصل المعقود للكلام على سلوك ابناء الاغنياء بعد موت آبائهم لم يعجب من خراب بيوتهم. والكلام على هذه الادواء تظهر عليهِ صفة الاخلاص التام وهو مشفوع دائماً بالكلام على العلاج المناسب لها

والكلام على القسم الثاني اطول واكثر فصولاً لان الامم باواسطها وقد تكلم فيهِ على الجامع الازهر والازهريين كلاماً مسهباً لا يخلو من التقريع كلامَ مَن يشعر بالم فلا يسعهُ الاَّ الشكوى منهُ والتذمُّر . وانتقل من الكلام عليهِ الى الكلام على العلماء والمحاكم الشرعية والمدارس والجمعيات والاستخدام والمعايش المختلفة كالتجارة والصناعة والزراعة والكتابة واطال في الكلام على الجرائد والكتب والمدارس وبيَّن ما فيها كلها من الحسنات والسيآت وعاد الى الكلام على الاسراف واحسن في تسميتهِ بميزانية الهدْم في الامَّة وقال فيهِ انهُ كان للوطنيين في القاهرة ١٦٦١ مكاناً من اماكن الملاهي كالخمامير والقهاوي وذلك قبل سنة ١٨٩١ وكان للاوربيين حينئذٍ ٧٥٥ مكاناً ثم حدث بعد ذلك ٥٠٥٠ مكاناً للوطنيين و١٩٨٩ للاجانب فصار مجموع الملاهي من قهاوي وخمارات ٩٤٧٥ في القاهرة وحدها فاذا فرضنا ان كل مكان منها يبيع بنصف جنيه لا غير يومياً فهي تبيع في السنة بمليون وسبعماية وثلاثين الف جنيه ثم لو فرضنا ان عدد سائر الحانات والقهاوي في جميع القطر كعددها في القاهرة فقط يكون مقدار ما يُصرف في القهاوي والحانات على الخمر والرقص وما اشبه ثلاثة ملايين وار بعماية وستين الف جنيه . ثم لو زدنا على هذا ما ينفقهُ الشبان الجهلاء الذين يرثون من المال ما لا يحصى مقدارهُ ويبذرونهُ في اماكن المقامرة المستورة وغير المستورة لضوعف المبلغ ولما اثبت ذلك قال "اي مصري عاقل لا يتفطر قلبهُ اسىً على امَّة هذا مبلغ حالتها في التبذير واي انسان لا يتحسَّر على مالٍ ينفق بلا نفع ادبي يعود على البلاد وتربية ابنائها وكيف يؤمَّل حفظ كيان امَّة بغير الثروة وهي حياة الممالك او يؤمل لها مستقبل حسن وغاية شبانها وكهولها التبذير والاسراف"

والقسم الثالث في فقراء الامَّة فتكلم فيهِ على زواجهم وعيشتهم الزوجية واهمالهم اولادهم والحرف التي يحترفونها واوهامهم وادمانهم للمسكرات والحشيش وكثرة الجنون الناتجة عن الحشيش والمسكرات وكيفية معالجة مرضاهم وما ينفقون على مآتمهم من النفقات الطائلة والاوقاف

الاسلامية الموقوفة عليهم وفيها خاتمة الكتاب

ولا يسع المنصف الاَّ الاعجاب بهمَّة هذا الشاب الذي استهدف لسهام الانتقاد والتعنيف لكي يبين ما يراهُ عيباً في امتهِ وبلادهِ ويظهر مواقع الضعف والمرض باجلى بيان حتى يتعهدها فضلاء الامَّة بالعلاج الشافي

وقد وقف حضرة الاصولي الفاضل احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر الاهلية الابتدائية على هذا الكتاب فقدَّم لهُ مقدمة بليغة اجاد فيها وافاد قال

"تصفحت هذا المؤَلف الجديد فاذا هو قد الَّم بالمطلوب ووفى البحث حقهُ فتكلم عن اخلاق الطبقات الثلاث التي تتألف منها امتنا المصرية وعن عاداتها وحالها في كل مجتمعاتها بما ابان العلة وشخص الداء وارجع جميع الادواء الى اصول الاخلاق وبرهن على ان العمل انما هو الموصل الى السعادة

"الحق احق بالاتباع والضرر انما هو في تمويه الحقيقة بما يسمونهُ تستراً والنصح ان كان مرًّا ربما حلت عاقبتهُ وحمدت غايتهُ على انهُ ان كانت النصيحة بالتي هي احسن فلا يضيع فيها الصدق بالاخبار عن الواقعيات وقد يكون الواقع اشد ما يكون سماعهُ على النفوس فلابد اذن من أن يتحرى الناصح الحق ويبين العيب ويدعو الى التنصل منهُ والتنحي عنهُ ولا بد من ان البذرة تنبت متى وُضعت في ارض صالحة واستكملت الشروط وكل النفوس صالحة لتلقي النصيحة ولا ينقصها الاَّ ان يكون زارعها مستجمعاً لشروط القبول ومتى صلحت النية فكل عمل صدر عن صاحبها فهو وان كان صعباً يكون مقبولاً

"كان يسرني كثيراً ان انتقد على هذا الكتاب في موضوعهِ فاقول ان هذا العيب الذي ذكرهُ مؤَلفهُ في الصنف الفلاني غير موجود ونسبتهُ اليهِ غير صحيحة غير اني آسف اسفاً شديداً لما رأَيتهُ من ان صاحب الكتاب لم يذكر عيباً في طبقة ولم يندّد بعادة ولم يعير بخصلة ولم يتعرَّض الى خلة الاَّ وجدتهُ بعد التدقيق مصيباً فيما قال صادقاً فيما نسب بل رأَيتهُ مستعملاً الرقة في البيان والتلطف في المقال"

ولا نزيد على ما قالهُ حضرة القاضي الفاضل وانما نشارك حضرتهُ في حث الناس على الانتفاع بهذا الكتاب وفي الثناء الوافر على مؤَلفهِ

والكتاب مطبوع طبعاً واضحاً على ورق جيد وثمنهُ ٢٠ غرشاً صاغاً وهو يطلب من ادارة المقتطف ومن كل المكاتب الشهيرة في العاصمة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تكسير الفونوغواف

القناطر الخيرية . نسيم افندي فهمي معاون المحطة . بلغني من صديق اثق بروايتهِ ان سائحاً قدم مصر وطلب من احد الحانوتية ان يضع لهُ آلة فونوغراف في قبر ميت دُفن حديثاً فيعطيهُ مئة جنيه واعطاهُ عشرة جنيهات منها مقدماً ووعدهُ باعطاء التسعين في الصباح التالي فوضع الحانوتي آلة الفونوغراف في القبر ثم افتقدها في الصباح فوجدها مكسَّرة ومطحونةً طحناً فمن الذي كسَّرها

ج ان كان صديقكم صادقاً وروايتهُ صحيحة فالمرجح عندنا ان الحانوتي هو الذي كسرها لانهُ فهم قصد صاحبها فاراد ان يحبطهُ

(٢) احسن مجلة علمية انكليزية

ومنهُ . ما هي احسن مجلَّة علميَّة تاريخيَّة ادبيَّة صحيَّة باللغة الانكليزية تفيد مطالعتها المصريين

ج اننا لا نعرف مجلة انكليزية جامعة هذه الاوصاف كلها لان المجلات العلمية الانكليزية كثيرة فالتي تبحث في العلوم الطبيعية مثلاً لا تبحث في التاريخ والتي تبحث في التاريخ لا تبحث في الصحة والمجلات الادبية قلما تنشر شيئاً من المقالات الطبيعية والصحية. وعندهم مجلات خاصَّة لكل فرع من فروع العلوم كالجيولوجيا والاركيولوجيا والكيمياء والنبات والحيوان والطب والصحَّة ولذلك لا نظن انهُ توجد مجلَّة واحدة تفي بمرادكم

---

(٣) القامة والعلم

ام درمان . عبد الاحد افندي ناسي . طالعت في بعض الجرائد مقالة ادَّعى صاحبها ان اكثر النوابغ في العلم والفلسفة والسياسة بل كلهم من قصار القامة واورد اسماء بعض المشاهير مثل الاسكندر الكبير وبولس الرسول ونبوليون الاول فهل ذلك صحيح

ج ان كان ذلك صحيحاً فيكون لان القصار اكثر عدداً من الطوال. ويظهر لنا ان الذين اشتهروا من طوال القامة لا يقلُّون عدداً عن الذين اشتهروا من قصار القامة في ما نعلم الآن احصاء المشهورين ليس

بالامر السهل ولا نظن ان احداً استطاعهُ حتى الآن لكي يصحَّ ان يبنى عليهِ حكم. وقد عين المجمع العلمي البريطاني لجنة للبحث في طول الناس وثقلهم في بلاد الانكليز فوجدت ان سكان الضياع اطول قامة واثقل جسماً من سكان المدن وان اعضاء الجمعية العلمية الملكية وهم اشهر علماء الانكليز من اطول الناس ومتوسط طول الواحد منهم خمس اقدام انكليزية وتسع عقد وثلاثة ارباع العقدة وان متوسط طول المجرمين اقل من متوسط طول الشعب الانكليزي بعقدتين والمجانين قصار مثل المجرمين ولكنهم اثقل منهم

(٤) حرارة مياه الآبار

ومنهُ . ان مياه الآبار تكون باردة في الصيف وحارَّة في الشتاء وقد عللتم ذلك في بعض اعداد المقتطف الماضية بانهُ ليس في طبيعة الماء نفسهِ بل هو من ملامسة الجسم للهواء الكروي المتغير بتغير الطقس ولكن مياه الآبار في السودان يشعر بها حارَّة صيفاً وشتاءً على حدٍّ سوى فما سبب ذلك

ج ان تعليلنا للشعور ببرد المياه صيفاً وحرها شتاءً هو ان جسم الانسان يبرد في الشتاء فيشعر بالمياه حارَّة بالنسبة اليهِ او بالنسبة الى الهواء الذي يلامسهُ ويسخن في الصيف فيشعر بالمياه باردة بالنسبة اليهِ او الى الهواء الذي يلامسهُ . ومعلوم ان هذا الحكم يراد بهِ مياه الآبار العميقة التي لا تؤثر فيها تقلُّبات الهواء فاذا لم تكن عميقة اثَّر فيها الهواء فبرَّدها شتاءً وسخنها صيفاً فلا يعود الجسم يرى فرقاً كبيراً بينها وبين الهواء الملامس لهُ. اما الشعور بها في السودان حارَّة في الشتاء فسببهُ ما تقدَّم واما الشعور بها حارَّة في الصيف ايضاً فسببهُ غير ظاهر ولعلكم مخطئون فاعيدوا نظركم في الصيف التالي وقت اشتداد الحر واخرجوا الماء من بئر وغطسوا يدكم فيهِ حالاً قبلما يسخنهُ الهواء فانكم تشعرون بهِ ابرد من الهواء والاَّ فاخبرونا واخبرونا ايضاً في اي ساعة من النهار اخرجتم الماء ووضعتم يدكم فيهِ وكم هو عمق البئر

(٥) عدد المتكلمين بالعربية

ومنهُ. وجدت في بعض الكتب الانكليزية المؤلفة حديثاً ان عدد المتكلمين بالعربية يبلغ سبعين مليوناً من النفوس فهل ذلك صحيح واين هم

ج المرجح عندنا الآن ان عددهم ليس اكثر من ستين مليوناً هكذا

في القطر المصري	نحو ١٠ ملايين
في تونس والجزائر	« ٠٦ «
في مراكش وطرابلس	« ١٠ «
في السودان وبقية افريقية	« ١٨ مليوناً
في جزيرة العرب	« ١٢ «
في الشام والعراق	« ٤ ملايين
والجملة	٦٠ مليوناً

(٦) عدد سكان تركيا

ومنهُ . كم عدد سكان تركيًّا حالاً

ج نحو ٤٠ مليونًا . البلدان التي تحكمها مباشرة عدد سكانها نحو ٢٥ مليونًا والبلاد التي لها عليها السيادة فقط وهي مصر والبلغار وبوصنه والهرسك وكريت وصاموس عدد سكانها ١٥ مليونًا والجملة اربعون مليونًا وقد رأينا ان نبسط ذلك في الجدول الآتي ليسهل الرجوع اليهِ

في اوربا	٦٠٨٦٣٠٠
في اسيا	١٧٥٤٥٣٠٠
في افريقية	١٣٠٠٠٠٠
في مصر	٩٧٣٤٤٠٥
في البلغار والروملي الشرقية	٣٣١٠٧١٣
في البوصنه والهرسك	١٥٦٨٠٩٢
في كريت	٧٣٠١٢٧٣
في صاموس	٠٥٤٨٣٠
والجملة	٣٩٩٠٠٩١٣

(٧) باثولوجية فان دبك

ومنهُ . هل يطبع كتاب الباثولوجيَّة الدكتور فان ديك الآن او لا وما هي الاسباب الاصلية لمنع طبعهِ ونشرهِ

ج طبع اولاً ونفدت نسخهُ ثم بلغنا ان حضرة رصيفنا الفاضل الدكتور اسكندر بارودي محرر الطبيب شرع في اعادة طبعهِ

(٨) سبب الاغماء

ومنهُ . ان بعض الناس يغمَى عليهم اذا رأوا عملية جراحيَّة تعمل امامهم فما سبب ذلك

ج السبب المباشر للاغماء قلة ورود الدم الى الدماغ فلا يعود الدماغ يغتذي اغتذاء كافيًا فيضعف شعورهُ او يزول وتضعف قوتهُ على تحريك اعضاء الجسم . والفاعل في تقليل ورود الدم الى الدماغ هو ان المنظر الذي يراهُ من يغمَى عليهِ يؤَثر في اعصابهِ وهي تؤَثر في قلبهِ كأَن الاعصاب تضطرب كثيرًا فيشعر القلب بذلك ويمنع دمهُ خوفًا من التفريط فيهِ او يحاول ارسالهُ بكثرة فتضيق الاوعية الدموية عنهُ وتنقبض

---

(٩) علاج البهق

الاسكندرية . ف . ل . كيف يعالج البهق المعروف بالفرنسوية باسم vitiligo

ج ذكر الدكتور فان ديك انهُ يعالج بالاطعمة الجيدة والسكن في هواءٍ نقي والالتفات الى صحَّة العليل العامَّة . وبمستحضرات الزرنيخ ولا سيما سيَّال يوديد الزرنيخ والزيبق اي محلول دونوڤان . ومن افضل العلاجات في هذه العلة المستعصية الفصفور يعطى منهُ نحو ١/٢٠ من القمحة او اكثر او اقل حسب عمر العليل واحتمالهِ ايَّاهُ ثلاث مرات كل يوم فبهِ يتحسَّن حالهُ ويخف البهق ان لم يشفَ تمامًا . ولاجل اصلاح الهضم يتناول العليل مساهل ملحيَّة . ولا بدَّ من ان تعتمدوا على طبيب يعالج عليلكم ويرى فعل العلاج بها

(١٠) علم الاشياء

الاسكندرية. محمد افندي كامل مراد. ما هو علم الاشياء وما فائدتهُ

ج هو وصف بسيط للاشياء التي يراها الصغار فهم يرون القهوة مثلاً ولا يعرفون من اين تاتي ولا ماذا يعمل لها حتى تصير قهوة فيجدون في كتاب علم الاشياء ان على مقربة من مدينة مخا في بلاد العرب شجرًا صغيرًا يحمل بزورًا تجمع حينما تنضج وهي البن ثم يحمَّص هذا البن ويدق ويغلى الماء ويوضع البن المدقوق فيهِ فتصير منهُ القهوة . ويرون الحديد ولا يعلمون كيف يستخرج فيجدون في علم الاشياء وصفًا مسهبًا بسيطًا لقطع الحجارة التي فيها الحديد ووضعها في الاتاتين مع الحجارة الجيرية ونحوها حتى يصهر الحديد ويسيل منها الى غير ذلك من المعارف العمومية التي تنير الاذهان

(١١) تحويل التواريخ

امبابه . سمعان افندي عوض . ما هو اقوم سبيل لتحويل التاريخ القبطي الى التاريخ الميلادي والهجري وبالعكس فان الوسائل المتبعة وعرة الدرك وتحار في استجلاء كنهها العقول

ج اسهل سبيل ان تفتشوا عن هذه التواريخ في نتيجة (روزنامه) بسيطة مثل الكتاب الذي وضعهُ المرحوم مختار باشا المصري في المقارنة بين التواريخ الهجرية والسنين الافرنكية والقبطية فاننا نعتمد عليهِ لا على القواعد الحسابية

(١٢) مقارنة تاريخ بتاريخ

ومنهُ . ماذا كان اليوم الثالث عشر من رمضان سنة ١٢٩٤ بالتاريخ القبطي والميلادي

ج تجدون في الكتاب المشار اليهِ آنفًا ان شهر رمضان ابتدأ تلك السنة في اليوم الخامس من ايام النسيء سنة ١٥٩٣ وفي التاسع من سبتمبر سنة ١٨٧٧ . فاليوم الثالث عشر من رمضان هو الثاني عشر من توت سنة ١٥٩٤ والحادي والعشرون من سبتمبر سنة ١٨٧٧

(١٣) الكابوس

مصر . ا . ا . ما هو الكابوس ومن اي شيء يحصل

ج اجبنا عن هذا السؤَال في الجزء الماضي

(١٤) الهلوك

الفيوم . فيليب افندي عفري ما هو دواءُ الهالوك الذي ينبت بين الفول فيتلفهُ

ج يمنع ظهورهُ في الارض بزرعها حنطةً او شعيرًا او نحو ذلك من المزروعات التي لا ينبت معها ثم تزرع فولاً بعدها . واذا نبت مع الفول يقلع ويحرق عند اول ظهورهِ قبلما تتولَّد بزورهُ لانها كثيرة يقع بعضها حين قلعهِ

باب الاخبار العلمية

الكرم الشرقي والكرم الغربي

مضى على جمعية العروة الوثقى والجرائد المصرية اشهرٌ تنادي السكان وتستنهض الهمم لجمع مالٍ تنشأ بهِ مدرسة صناعية في الاسكندرية فلم يزد المجموع حتى الآن على اثني عشر الف جنيه. وفي غضون ذلك قام كارنجي الغني الاميركي ووهب بلاده عشرة ملايين ريال كما ذكرنا في الجزء الثاني (تساوي مليونين من الجنيهات المصرية) فوق هباته الكثيرة لها وللبلاد الانكليزية وهي تبلغ ملايين كثيرة من الجنيهات

وقد اطَّلعنا الآن على صورة الهبة او العقد الشرعي الذي وهب بهِ هذا المال الطائل فاحببنا تلخيصها ليرى اغنياء المشرق كيف يعد اغنياء المغرب انفسهم وكلاء على اموالهم وكيف يقفونها على خدمة بلادهم قال

انا اندراوس كارنجي من نيويورك ارى انه يجب عليَّ ويسرُّني جدًّا بعد اعتزالي الاشغال ان اتصرَّف بثروتي كمؤتمن عليها تصرُّفاً ينتفع بهِ غيري ولما كنت واثقاً ان من الطرق الفضلى للتصرُّف بهذه الثروة ان اقف بعضها على ما يسهّل وسائل العلم والبحث في بلادي وان الرجال الذين رضوا ان يقوموا بشروط هذا الوقف هم كفءٌ للقيام بها لذلك انطت بهم كنظار على دار كارنجي العلمية في وشنطون عشرة ملايين من الريالات سندات في شركة الصلب (الفولاذ) بالولايات المتحدة التي فائدتها خمسة في المئة سنويًّا (ثم ذكر اسماء هؤلاء النظار وقال)

وينفق ريع هذا الوقف اولاً على ما يلزم لنفقات هؤلاء النظار التي يدعو اليها قيامهم بشروط الوقف وثانياً على ما يلزم للاغراض التي ساذكرها. ولهم الحق المطلق في التصرُّف بهذه السندات حسبما يخوّلهم قانون البلاد وان يبيعوها على انفراد او في المزاد العلني بالثمن والشروط التي يختارونها وان يشتروا بر باها ما يشاؤُون مما لهُ ريع ولهم ان يبدلوا ما يشترونهُ بشيءٍ آخر اذا شاؤُوا وهم غير مسؤُلين عن سلامة هذه السندات ولا عن سلامة شيءٍ مما يبدلونها بهِ او يبدلون ريعها بهِ ولا عما يحصل من الهبوط في قيمتها ولا عن امانة الذين تودع عندهم . وكل ما اعتمد عليهِ هو ما اثق بهِ من امانة هؤلاء النظار والذين يعينونهم خلفاً عنهم واخولهم الحق بتعيين الموظفين اللازمين لادارة الاعمال التي يقتضيها هذا الوقف حسبما يرون وبتعيين الرواتب لهم"

ثم ذكر الاغراض التي يريد ان ينفق ريع هذا المال عليها وهي

(١) مساعدة الذين يبحثون المباحث العلمية المبتكرة

(٢) اكتشاف الرجال الذين لهم مواهب خصوصية للنجاح في عمل من الاعمال سواء كانوا في المدارس او في غير المدارس ومساعدتهم على اتمام الاعمال التي لهم ميل خاص اليها

(٣) تكثير الوسائل التي تسهّل على الطلاَّب تلقيّ العلوم العالية

(٤) مساعدة المدارس العليا واساتذتها على امتحان القضايا العلمية

(٥) مساعدة طلبة العلم في مدينة وشنطون على نيل اعظم الفوائد من المعارض والمكاتب والمعامل والمراصد ومدارس تربية السمك ومدارس زرع الغابات وما اشبه

(٦) طبع نتائج المباحث العلميَّة ونشرها باسرع ما يمكن

ويحق للنظار اذا اتفق ثلثاهم ان يغيروا الاساليب التي ينفق فيها ريع هذا الوقف بشرط ان يبقى الغرض من انفاقها مساعدة الولايات المتحدة الاميركية على السبق في ميادين الاكتشافات العلميَّة واستخدام قوى الطبيعة لخير الانسان

وريع هذا الوقف الآن مئة الف جنيه في السنة. وفي الولايات المتحدة وقف آخر من هذا النوع اصلهُ مئة الف الف جنيه لاغير ينفق ريعها على المباحث العلمية ونشر الكتب فيها وتكاد فوائدهُ تفوق الوصف فكم تكون الفوائد اذا كان الريع وحدهُ مئة الف جنيه او اكثر في السنة . بمثل ذلك ترتقي البلدان الاوربية والاميركية ويزيد الفرق بينها وبيننا

هبة بعد هبة

ذكرنا غير مرة ان الاستاذ بهرنغ نال جائزة نوبل وهي ٨٤٠٠ جنيه وقد قرأنا الآن انهُ وهبها لقسم امتحان الادوية في مدرسة مربرج الجامعة لكي تستمر على امتحان المصل الذي اكتشفهُ وكأَن لسان حالهِ يقول

يجود علينا الخيّرون بمالهم
ونحن بمال الخيّرين نجودُ

سبب انتشار الجذام

ذهب العالم هتشنصن الى جنوبي افريقية ليبحث عن سبب انتشار الجذام هناك فوجد ان السبب الاكبر لانتشارهِ اكل السمك المقدد الفاسد وقال انهُ وجد ادلَّة قاطعة ايضاً على ان هذا الداء ينتقل من شخص الى آخر لا بالتنفس ولا بالتلقيح بل بتلوُّث طعام السليم من ايدي المجذوم . واشار بان تتولَّى الحكومة امر المراقبة على تمليح السمك وتنشر المنشورات البسيطة التي يتعلَّم منها الناس ان الجذام معدٍ وتنشئ مستشفى خاصاً تجمع فيهِ كل المجذمين وتمنع اتصالهم بغيرهم

هبة علميَّة اخرى

توفي ولد للمسترهرلد مكرمك من شيكاغو بالحمى القرمزية فوهب هو وزوجتهُ مليون ريال لانشاء مدرسة للامراض المعدية

التصوير الشمسي الملوَّن

لما اجتمعت اكادمية العلوم في كنكتكت باميركا في ١٢ فبراير الماضي عرض الاستاذ ورل صوراً كثيرة ملونة بالوان طبيعية أُخذت من الطبيعة مباشرة على اسلوب جديد استنبطهُ المستر هيت ورل . وقد بعثت الينا احدى السيدات من المانيا صورة فوتوغرافية فيها نساء ثيابهم ملونة بالوان مختلفة ظهرت فيها الوان وجوههم وشعورهم وثيابهم كما ترى عن بُعد وبذلك فالتصوير الشمسي الملوَّن صار من الممكنات ولو لم يشع استعمالهُ حتى الآن

سسل رودس

ورد نعي هذا الرجل العظيم في السادس والعشرين من الشهر بعد ما طبعنا ترجمتهُ في صدر هذا الجزء في باب رجال المال والاعمال الناظرين اليهِ من حيث جمعهُ للمال وادارتهُ للاعمال كما هو غرضنا من الترجمات في ذلك الباب لاننا نعدُّ الاقتصار على ذكر رجال العلم تقصيراً في نشر ما يفيد نشرهُ جمهور القراء وفي حث الامَّة على السير في سبل النجاح

وقد وردت الينا الجرائد الاوربية بعد ذلك وفيها لمع من ترجمة حالهِ ووصف اعمالهِ ومما قيل فيها انهُ لم يكن نجيباً في دروسهِ ولا كان كثير المواظبة على حضور الدروس وقد وُبّخ على ذلك مراراً فقال ان غايتي الكبرى من الدرس ان اجوز الامتحان وساجوزهُ فجازهُ ونال الشهادة وعاد الى عملهِ في مناجم الماس فوحَّدها كما تقدَّم في ترجمتهِ وغرضهُ الاول والاخير ان يغتني ويستعمل غناهُ لجعل جنوبي افريقية بلاداً انكليزية يسكنها الشعب الانكليزي . وقد لامهُ بعض رجال السياسة على اشتغالهِ بالمسائل المالية بعد انتظامهِ في سلكهم اما هو فلم يكن يرى رأيهم بل كان يحسب النجاح في جمع المال ضرورياً للنجاح في السياسة . ومن اقوالهِ المأثورة لانفع للآراء العظيمة ما لم يكن عند صاحبها مال كافٍ لاخراجها من القوة الى الفعل . ويقال انهُ علَّم الناس علماً جديداً في فائدة المال

ولم يكتفِ بانفاق جانب كبير من ثروتهِ على تنفيذ مقاصدهِ السياسية بل جعل غيرهُ من كبار الماليين يساعدونه في ذلك حتى صار من اغراضهم الاولى انشاء جمهورية كبيرة في جنوبي افريقية خاضعة للسيادة الانكليزية وصاروا يسرُّون بذلك ويتفكهون بالسعي لتحقيقهِ كما يتفكَّهُ غيرهم بالصيد والقنص . وآلت مناجم كمبرلي وده بيرس اليهِ والى اثنين معهُ واراد هؤلاء الثلاثة ان يشتركوا معاً في شركة واحدة فقبل بكل الشروط التي اشترطها الاثنان ثم اشترط هو

ان يسمح لهُ بانفاق ربع منجم ده بيرس على امتلاك البلدان الشمالية ونشر الراية الانكليزية فيها فاعترض الرجلان عليهِ قائلين ان هذا الشرط ليس من الشغل التجاري في شيءٍ فقال اني اعدهُ من الشغل التجاري ولا اتفق معكما ما لم تقبلا بهِ وبقي الثلاثة يتذاكرون ويتجادلون الى الصباح وهو مصرٌّ على طلبهِ واخيرًا اذعنا اليهِ. وبهذا الشرط تمكَّن من امتلاك رودسيا ومن الدفاع عن كمبرلي وقت حصارها. ولما حدثت غارة جايمسن اتُّهم بانهُ اشار بها لاجل المضاربة فانكر ذلك وقال انهُ لم يضارب قط ولن يضارب ابدًا. وبحث بعضهم عن حقيقة هذا الامر في البورصات فوجدوا انهُ قال الحق اي انهُ لم يضارب قط

وكان يثق تمام الثقة بان الراية الانكليزية ستنشر يومًا ما في افريقية من رأس الرجاء جنوبًا الى الخرطوم شمالاً حتى انهُ لما دعاهُ غوردون باشا ليرافقهُ الى السودان سنة ١٨٨٤ بعث اليهِ بالجواب تلغرافيًا يقول سأُلاقيك يومًا ما في الخرطوم ولكنني اصل اليها من الجنوب لا من الشمال

ويقال انهُ لما نشبت الحرب الافريقية لم يشترك فيها ولم يلجأْ الى كمبرلي الَّا لان اكثر عمَّالهِ كانوا فيها فلم يرَ من الشهامة ان يتركهم ويفر هاربًا بل دخلها وحاصر معهم فيها وافادهم بآرائهِ وافعالهِ واغرى البوير بوضع جانب كبير من قوتهم حولها وبسببهِ تحوَّل كرونجي الى تلك الجهة فأُسر هو ورجالهُ ومالت كفة النصر الى جهة الانكليز. لكن طول مدة الحصار والتعب الشديد اثَّرا في صحتهِ فعاد اليهِ ضعف القلب الذي مات بهِ. وكان اصدقاؤهُ يرجون ان الراحة تعيد اليهِ صحتهُ فيعيش الى ان يرى اعمالهُ مكللة بالنجاح التام لكنهُ لمَّا كان في مصر في الشتاء الماضي كان يشكو كثيرًا من مرض قلبهِ وكتب الى صديق لهُ يقول ان ضغط قلبهِ اشتدَّ على رئتيهِ وزادت آلامهُ ودنا أَجلهُ

وقد مات عزبًا ولم يكن لهُ غرض من الحياة غير ان يفتح جنوبي افريقية للانكليز لكي يتمتعوا بهوائهِ الطيب ويستثمروا خيراتهِ الكثيرة ثم يحمل الراية البريطانية الى زمبيسي ومنها الى اوغندا والنيل فيصل النفوذ البريطاني من القاهرة الى الكاب وتمد في هذه البلاد الوسيعة سكك الحديد واسلاك التلغراف

السر جون افانس والتحف المصرية

قدم السر جون افانس الى القطر المصري واشتدَّت عليهِ وطأَة الروماتزم فالتجأَ الى حلوان واقام في فندقها الى ان شفي ثم عاد في اواخر الشهر الى اوربا وقد ابتاع وهو في القاهرة نقودًا رومانيةً ذهبية وجدت في هذا القطر حديثًا وبينها دينار لم يكشف دينار مثلهُ حتى الآن والذين باعوهُ هذه الدنانير ابتاعوا مئات منها من الذين وجدوها بنحو خمسة آلاف جنيه

يعثوا باكثرها الى اوربا . والظاهر ان الحكومة المصرية لم تدرِ بذلك فخرجت هذه الدنانير من بلادها . ولو اباحت للناس ان يمتلكوا ما يكتشفون من هذه التحف القديمة واشترتها منهم بالثمن الذي يشتريها به غيرها لبقيت في البلاد ولم يخرج منها الاَّ ما يوجد مثلهُ في دار التحف المصرية . اما مصادَرة المكتشفات على الوجه المتَّبع الآن فيدعو المكتشفين الى اخفائها وبيعها للاجانب فتخرج من البلاد وفي ذلك من الخسارة المادية قدر ما فيهِ من الخسارة الادبية لان بقاء التحف النادرة في هذا القطر يغري كثيرين بزيارتهِ وهم ينفقون الاموال الطائلة في هذه الزيارة فتربح البلاد منهم اكثر ممَّا تنفق حكومتها على ابتياع هذه التحف

خسوف القمر

يخسف القمر خسوفاً كليًّا في الثانية والعشرين من ابريل فيشرق مخسوفاً بالظليل فان اول مماسة الظليل لهُ الساعة ٥ والدقيقة ٥٠ وهو يشرق الساعة ٦ والدقيقة ١٨ ثم تبتدئ مماسَّة الظل الساعة السابعة ويحجب ظل الارض القمر كلهُ الساعة ٨ والدقيقة ١٠ ويبقى محجوباً ساعة و ٢٥ دقيقة ثم يأخذ بالتجلي ويتم خروجهُ من مخروط الظل الساعة ١٠ والدقيقة ٤٥ ومن مخروط الظليل الساعة ١١ والدقيقة ٥٥

الكرَم والتعليم

فرضت نظارة المعارف المصرية اجرة على التعليم يستكثرها الفقير ولو استقلَّها الغني ولذلك صار يتعذَّر على كثيرين من الفتيان الذين كان من نصيبهم ان يولدوا من اباء فقراء ان يدخلوا مدارس الحكومة ويتعلموا فيها . الاَّ ان هذا التضييق على اولاد الفقراء فتح باباً واسعاً للاظهار كرَم الكرماء ولاسيما الذين ولدوا فقراء فاغتنموا بان يقتفوا خطوات كارنجي المثري الاميركي فان المال الذي وهبهُ لمدارس سكتلندا مسقط رأسهِ دُفع من ريعهِ في اواخر العام الماضي نحو ٢٣ الف جنيه اجور تعليم ٢٤٤١ تلميذاً . فمن لنا باثنين او ثلاثة من الاغنياء المحبين لوطنهم يوقفون جانباً من اموالهم ينفق ريعهُ اجرة تعليم التلامذة الفقراء في مدارس الحكومة او غيرها من المدارس العالية بدلاً عن ايقافها على الفقراء من غير تمييز فيزيد بها كسلهم واعتمادهم على غيرهم

الملح وعمر الارض

بحث الاستاذ دبوى عن مقدار الملح الذي يصل الى البحر من مياه الانهر فوجد انهُ اقل ممَّا حسبهُ السر جون مري . وجرى على اسلوب الاستاذ جولي في تقدير عمر الارض من مقدار ما تجرفهُ الانهار منها سنويًّا فوجد ان عمرها نحو ٢٤ مليون سنة كما حسبهُ لورد كلفن

تذكار الدكتور بلس

اهتمَّ تلامذة استاذنا الدكتور بلس وغيرهم من الفضلاء بانشاء تذكار لهُ على اثر استعفائهِ من رئاسة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فاجتمع جماعة منهم في ادارة المقتطف واقرُّوا على استحسان هذا العمل وعلى جمع مال بالاكتتاب يصنع لهُ بهِ تمثال يوضع في المدرسة الكلية وفتحت قائمة الاكتتاب فاكتتب الحضور فيها وستبقى مفتوحة الى آخر ابريل ثم تنشر اسماءُ المكتتبين وما اكتتبوا بهِ في المقطم . وعُينت لجنة لتتفق مع لجنة بيروت على تنفيذ ما قرَّ القرار عليهِ

تذكار مس اڤرت

يجد القارئ في هذا الجزء ترجمة هذه السيدة الفاضلة بقلم مدام صروف . وقد اجتمع كثيرات من تلميذاتها في هذه العاصمة في منزل حضرة السيدة سعدى سابا وقرَّ قرارهنَّ على تصويرها صورة زيتية واهداء الصورة الى مدرسة البنات في بيروت وانطنَ حضرة سليم افندي حداد المصور المشهور بتصويرها

ديمون وخلل بالونه

ذكرت الجرائد اليومية ما اصاب بالون سنتوس ديمون السادس الذي كاد يغرق بهِ في بحر الروم امام موناكو وقد كتب بعضهم الى جريدة التيمس بعد ذلك يبين ان المسيو ديمون استفاد من هذه الحادثة لانهُ اكتشف خللاً في بالونهِ يسهل عليهِ اصلاحهُ فان بالونهُ طويل كالسيكار الافرنجي ويسير منبسطاً رأسهُ الى الامام وذنبهُ الى الوراء ولكن الريح عصفت بهِ حينئذٍ وكانت ترفع رأسهُ مرةً وذنبهُ اخرى حتى يكاد يقف عمودياً فاخرج ديمون بعض الغاز منهُ ليثقل وينخفض فتقلَّص الطرف الذي فيهِ دفتهُ ولم تعد الدفَّة تعمل عملها فوقع في البحر وكاد ديمون يغرق لولا مبادرة الزوارق اليهِ لتخليصهِ . وقد اتضح من ذلك ان لابدَّ للبالون من اجنحة تمنع ارتفاعهُ وانخفاضهُ على هذه الصورة وان الشكل الكروي او الكمثري اقل خطراً من الشكل المستطيل

نفقات المعارض

بلغت النفقات التي انفقت على انشاء معرض بفلو الاخير في اميركا تسعة ملايين ريال وعلى انشاء معرض باريس عشرة ملايين ريال وعلى انشاء معرض شيكاغو ١٨ مليون ريال وستبلغ على انشاء معرض سنت لويس باميركا الذي يراد فتحهُ في العام المقبل ٣٠ مليون ريال

طفل نابغة

كان للاستاذ كوكرل الاميركي طفل نابغة اكتشف حشرات غير معروفة اضيفت الى التاريخ الطبيعي وعمرهُ ثماني سنوات لكن المنيَّة عجَّلت عليهِ فاصيب بالدفتيريا ومات

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يجتمع اجتماعهُ الثاني والسبعين في مدينة بلفست من ١٠ الى ١٧ سبتمبر برئاسة الاستاذ جمس دوَر الكيماوي

تلغراف مركوني

ذكرنا في جزء يناير ان الاشارات الكهربائية نقلت بتلغراف مركوني من اوربا الى اميركا مسافة ٢٠٩٩ ميلاً وقد قال مركوني بعد ذلك انهُ اذا كان عندهُ آلة قوية لتوليد الكهربائية الكافية نقل الاشارات الكهربائية حول كرة الارض فتخرج منها وتلف حول الارض وتعود اليها والاعمدة التي تنصب لذلك لا يقتضي ان يكون ارتفاعها اكثر من مئتي قدم وكروية الارض لاتمنع نقل الاشارات. وسرقة هذه الاشارات بآلة أُخرى امر غير مستحيل لذاتهِ ولكن لا يخشى ان احدًا يتكلف نفقات باهظة لكي يسرق خبرًا قد لا يستفيد منهُ شيئًا

النمل الزارع

ذكر دارون واللورد أفبري وكثيرون غيرهم من الثقات ان نوعًا من النمل يزرع الحبوب ويحصدها . وقد جاء في مجلة العلوم الطبيعية الاميركية الآن ان الاستاذ هويلر بحث عن هذا الامر فوجد ان هذا النمل يخرج الحبوب من قريتهِ اذا تبللت ويخفيها في التلال التي حولها فتنبت من نفسها ثم هو يغتذي من البزور التي تكون في هذا النبات فيظهر كأَنهُ زرع الحبوب لكي يستغلها

صحراء طرابلس الغرب

طاف المستر ددصن الرحالة الانكليزي في صحراء طرابلس الغرب ووصل الى غابة الاشجار المتحجرة المعروفة بغابة مرزوق فوجد انها تمتد اميالاً كثيرًا وفيها كثير من الاشجار الكبيرة والصغيرة والاصداف البحرية ومحيط بعض اشجارها سبع اقدام . واحاطت العواصف الكهربائية مرةً بهِ وبرجالهِ فصار الشرر يتطاير من رماحهم وبنادقهم واحاطت برؤُوسها هالات من النور الكهربائي

بالون سبيلو

استنبط المسيو سبيلو الباريسي بالونًا جديدًا يقال انهُ يدار كما يشاءُ راكبهُ واهم ما يمتاز بهِ على غيرهِ من البالونات ان فيهِ اناءَ هواءٍ حارٍّ واناءَ هواءٍ بارد فاذا اراد ان يعلو البالون بهِ اطلق فيهِ الهواءَ الحار فتمدَّد الغاز الذي فيهِ وخف وصعد واذا ارادا ن يهبط اطلق فيهِ الهواءَ البارد فتقلَّص غازهُ وثقل وهبط

تلغراف سلابي

ذكرنا غير مرة ان الاستاذ سلابي الالماني استنبط اسلوبًا جديدًا من تلغراف مركوني بالاشتراك مع الكونت اركو وقد قرأْنا في الجرائد الاخيرة ان هذا التلغراف اخذ يشيع

في المانيا واقرَّت نظارة الحربية الالمانية على انشاء مراكز لهُ حول كل الشطوط الالمانية وقد وُضعت آلاتهُ في ٣٢ من البوارج الالمانية وستوضع في غيرها

تلغراف مركوني في السودان

طلب مركوني ان يُسمَح لهُ باستعمال تلغرافهِ في بلاد السودان حيث لم تمدّ اسلاك التلغراف حتى الآن والمظنون ان مالية السودان لا تسمح بذلك ولكن اذا قلَّت نفقات الآتهِ وزاد اتقانها فلا يبعد ان يجاب طلبهُ

التلفون بين القاهرة والاسكندريَّة

مدَّت خطوط التلفون بين القاهرة والاسكندرية وامتُحنت فسُمع الكلام واضحًا. ولا يبعد ان تمدَّ يوماً ما بين القاهرة وكل بنادر القطر ومراكزهِ ولا سيما اذا امكن الاستغناء عن الاسلاك المعدنية باستعمال تموجات هرتس الكهربائية

اكبر باخرة اميركية

أُنزل الى البحر في العشرين من شهر فبراير الماضي اكبر باخرة اميركية واسمها كرونلند. طولها ٥٨٠ قدماً ومحمولها ١٢٠٠٠ طن وسرعتها ١٧ ميلاً بحريًّا في الساعة وهي تسع ٣٤٣ راكبًا في الدرجة الاولى و ١٩٤ راكبًا في الدرجة الثانية و ١٠٠٠ راكب في الدرجة الثالثة

الآثار السامية

يقال ان مدرسة هارفرد الجامعة باميركا عازمة ان ترسل بعض العلماء للبحث عن الآثار السامية في مصر وبابل واشور وفلسطين فلتبشر انها تجد هذه البلدان طافحةً بالآثار السامية الصامتة والناطقة

زبدة استراليا

شرع سكان استراليا يصدرون الزبدة الى اوربا سنة ١٨٨٩ فاصدروا حينئذٍ ٣٦٩ طنًّا بلغ ثمنها ٥١ الف جنيه واصدروا في السنة التالية ٧٥٩ طنًّا ثمنها ١٠٠ الف جنيه وزاد الصادر رويدًا رويدًا حتى بلغ سنة ١٩٠٠ اكثر من ١٧ الف طن ثمنها اكثر من مليون وستمئة الف جنيه . وبلغ الصادر في السنوات العشر نحو ٨٠ الف طن وثمنهُ نحو ثمانية ملايين من الجنيهات . والناس الذين عمَّروا استراليا واستثمروها واخرجوا منها هذه الخيرات لا يعسر عليهم ان يعمِّروا السودان وقلب افريقية ويرسلوا خيراتها الى اوربا واميركا ونحن ننظر اليهم مندهشين وايادينا في جيوبنا

القطب الجنوبي

خطب الرحَّالة بور كرفنك النروجي بالامس عن رحلتهِ الى جهات القطب الجنوبي فقال ان حالة الهواء هناك تشبه حالتهُ في جهات القطب الشمالي من حيث اشتداد البرد فهبط الترمومتر الى الدرجة ٧٢ تحت الصفر في شهر

لبو ويتغلب هبوب الرياح الجنوبية الشديدة بردو ويتبعها وقوع الثلج . والارض التي اكتشفها كانية وهي شاخصة من البحر الى علو خمسة لاف قدم اوستة آلاف قدم . وقد بلغ لدرجة ٧٩ والدقيقة ٨٦ من العرض الجنوبي رأى هناك جبالاً كبيرة من الجليد جارية في البحر وشاهد انفصال جبل منها عن جليد لبر فلما انحدر الى البحر ماج البحر موجاً عظيماً جداً وكان هو واقفاً على البر فعلت الامواج وكادت تغرقهُ

وفي تلك الاصقاع كثير من حيوان النفط وطائر البنغوين . وهذا الطائر يشعر بهبوب الرياح الجنوبية قبلما تهب فيدير رأسهُ الى الجنوب والاَّ عبث بريشهِ . ويظهر الشفق القطبي هناك كما يظهر في الجهات الشمالية . ورأى جبال الجليد تجري في البحر على ضدّ هبوب الريح وعلى ضد التيارات السطحية دلالة على انها مسوقة بتيار عميق في البحر . وقد سار الى تلك الاصقاع من استراليا بالسفينة المسماة بالصليب الجنوبي ونزل على جزيرة فيها مع تسعة من رفاقهِ ثم رجعت السفينة اليهم سنة ١٩٠٠ وعادت بهم الى استراليا

احذية الكلاب

من البدع الجديدة عند الاوربيين والاميركيين عمل الاحذية للكلاب فقد صنعوها من الكاوتشوك وهم يحذون الكلب بها حتى لا يؤلمهُ حرُّ الارض وبردها ولا تتعبهُ صخورها وحجارتها

مستشفى زجاجي للسل

سينشأ مستشفى في فيلادلفيا باميركا لمعالجة المسلولين غرفهُ كلها من الزجاج يقيم المسلول في غرفة منها ويأتيهِ الهواءُ نقيًّا وممزوجاً بالاوزون فلا يتنفَّس سواهُ . والمظنون ان هذه المعالجة تكفي لشفاء السل

الكهربائية لسكك الحديد

عزمت حكومة اسوج على ترك البخار في سككها الحديدية واستعمال الكهربائية بدلاً منهُ وهي تولدها من الشلاَّلات الكثيرة في بلادها فعسى ان تقتدي الحكومة المصرية بها فتولد الكهربائية من خزان اصوان بعد اتمامهِ وتستعملها للسكك الحديدية ولو بين الشلال وحلفا وبين الشلال والقصر

دقيق اللبن

استنبط الدكتور اكنبرج اسلوباً يصير يصير بهِ اللبن دقيقاً ناعماً كالطحين ويحفظ كذلك من غير ان يحمض او يختمر ثم اذا وضع في الماء ذاب فيهِ وعاد كاللبن العادي ويقال ان نفقات جعلهِ دقيقاً غير كثيرة فيباع الرطل منهُ بنحو ثلاثة غروش ولكن تصنع منهُ ارطال كثيرة من اللبن السائل

فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين

٣٠٥ رجال المال والاعمال (مصوَّرة)

٣١٣ السل واستئصالهُ (مصوَّرة)

٣١٧ خرائب الشام (مصوَّرة)

٣١٩ اليزا اڤرِت (مصوَّرة) . لمدام ياقوت صروف

٣٢١ عروسة النيل

٣٤٠ فتح المكسيك

٣٤٨ الصحيح من الفراسة

٣٥٠ ائتلاف الشعوب . لمحمد افندي كرد علي

٣٥٦ مدام رويه (مصوَّرة)

٣٥٧ ظواهر الجو ومذهب ارهنيوس

٣٦١ دلائل حسن التهذيب . لبولس افندي الخولي

٣٦٧ التحف والذخائر

٣٧٠ البيان العربي والبيان الافرنجي . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني

---

٣٧٥ باب المراسلة والمناظرة * السرقة والانتحال . نظر في الانانية . عائشة الباعونية

٣٨٤ باب تدبير المنزل * الطفل لدى الولادة . مكتسب الزوجة. خلع الثياب . غسل شعر الرأس. قصاص الاطفال . الاعتناء بالشعر . الصلع الباكر تسكير الاثمار

٣٨٨ باب التقريظ والانتقاد * فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة . الانصاف . الجراد والنمل الابيض والبعوض . مرشد مأموري الضبطية القضائية . الواسطة ورفع الملام . المصوَّر . التربية الابريز . التأسيس في المقاييس. الدروس العروضية . حاضر المصريين او سرنا خرهم

٣٩٥ باب المسائل * تكسير الفونوغراف . احسن مجلة علمية انكليزية . القامة والعلم . حرارة مياه الآبار . عدد المتكلمين بالعربية . عدد سكان تركيا. باثولوجية فان ديك . سبب الاغماء . علاج البهق . علم الاشياء . تحويل التواريخ . مقارنة تاريخ بتاريخ . الكابوس . الهالوك

٣٩٩ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢١ نبذة